

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190451

UNIVERSAL
LIBRARY

أشهر الخطب

ومشاهير الخطباء

تأليف

سلام موسى

حقوق الطبع والنشر
محفوظة لجهة الهلال

مطبعة النهضة

١٩٢٤

المقدمة

ربما كانت الخطابة أقدم الفنون الادبية . فالهجم والمتمدنون سواء في الحاجة الى الخطيب يناشد فيهم حميتهم ووطنيتهم لذود العدو الجائح أو لافارة على جار مستضعف أو لاسترداد حق مسلوب أو اغتصاب ملك جديد

والخطيب الملمهم يخاطب العواطف وقل أن يابه للعقل . لأن الناس اذا اجتمعوا شملهم ادراك آخر غير ادراكهم الشخصي . فهم يفكرون أو بالاحرى يحسون جماعة . فينزلون عندئذ من سماء العقل والمنطق الى مضيق العواطف والشعور فتتحركهم اللفظة المبهرجة وتستفزهم المعاني التافهة المنمقة . وهذا هو السبب في ان الاقدمين لا يقولون عنا شأواً في الخطابة وفي ان احسن الخطب عند الاستماع وسط الحشد يفقد شيئاً كبيراً من تأثيره وفعله في النفس اذا قرأه قارئ على انفراد . وذلك لما أشرنا اليه من ان الناس اذا اجتمعوا تغلبت عواطفهم على عقولهم وشمل نفوسهم شيء من التفرز يستثير فيهم الحزن أو السرور أو الحماسة لشئون لا يتحرك منها العقل . ولعل هذا هو السبب الذي جعل المؤرخ الانجليزي فرود يسمي الخطابة بـ"الفنون

لهذا كانت عيون الخطب التي حفظها التاريخ قليلة معدودة . لأن الخطبة ينطق بها الخطيب أمام الحشد ويميرها فيضاً من

شخصيته من حيث انطلاق اللسان ورشاقة الحركة وجهارة الصوت
تفقد هذه الميزات اذا عرض لها المؤرخ وهو منفرد جالس في هدوء
مكتبته . لأنه وهو في هذه الحال يسلط عقله على انشاء لم يقصد به
مواجهة العقل فيرى بهرجاً ما كان يظنه المجتمعون وهم في نشوة
عواطفهم جوهرأ خالصاً

وقد جمعنا في هذا المجلد غرر الخطب وعيونها التي رضىها
المؤرخون واحتملت تمحيصهم فدونها وأبقوا عليها . وقد قسمناه
جزأين : الاول يحتوي على خطب العرب والثاني يحتوي على
خطب الاوربيين قديمهم وحديثهم . ومهدنا لكل خطبة بترجمة
مختصرة عن الخطيب الذي فاه بها

ولا بدلنا من الاشارة الى اننا اوردنا هذه الخطب بنصوصها
الاصلية ونحن نعرف ما في بعضها من المخالفة لروح العصر الحاضر
وانما اثبتناها لقيمتها التاريخية

سلام موسى

الجزء الاول

عيون الخطب العربية

نبذة

في تاريخ الخطابة العربية

ليس يؤثر عن العرب في الجاهلية سوى خطب الكهان . ولا شك أن الخطابة كانت فناً معروفاً في ذلك الوقت يمارسها الرؤساء وذوو الرأي في القبائل للاستنفار والمناشدة . ولكن آداب الجاهلية من شعر وخطابة عفى آثارها الاسلام لما كانت تحويه من اشارات وثنية ونخوة جاهلية . والاسلام يكره الاثنتين لتعصبه للتوحيد ولرغبته في المساواة بين المسلمين . ثم كان الاسلام نخطب النبي كما خطب الخلفاء الراشدون وصارت « خطبة الجمعة » سنة وركنا من اركان الدين . وكانت الخطب في هذا الدور دينية محضة الا ما كان ينطق به القواد امثال خالد بن الوليد في ميادين القتال للحض على منازلة الاعداء

تم جاءت الدولة الاموية فظهرت الخطب السياسية وصار للخطابة شأن وفن يمارس . ولعل القارىء يدرك خطر الخطابة في ذلك الوقت من اهمام جميع المؤرخين بما فعله الوليد بن عبد الملك اذ كان يخطب وهو قاعد

أما في الدولة العباسية - وهي في اعتقادنا سبب انحطاط شأن العرب لنزوع الخلفاء نزعة دينية محضة - فإن الخطابة فقدت في عصرها صفة الأرتجال وملاءمة الخطبة للظرف المحيط بالخطيب .

وصارت الخطب نسخ نسخاً وتحتفظ حنظلاً . فيفيض . جمعها شائبة
ويشبه أولها آخرها في قلة المعنى واتساق النباهة
ثم اجتاحت المغول الدول العربية ومحوها من الوجود الا صورة
أبقوها في الخلافة العباسية وما كان أغناهم عن ذلك لأن المؤلف
العباسيين كانوا انفسهم من حيث الدم مغولاً في ذلك الوقت
وحكم المغول من كرد وترك وأفغان وسائر الاسيويين الذين
تسلطوا على البلاد العربية لم يتخلص ظله في الواقع الا منذ نحو
ماية سنة حين نهض العرب في مصر وسوريا . وكانت مصري
البادئة المتبوعة فظهر فيها خطباء . وكان أول ظيهورهم في
الثورة العرابية

رأى الرب عربى فى الخطابة

كان ابراهيم بن جبلة يعلم فتيان العرب الخطابة فرب به بشر بن
المعتمد فوقف يستمع . فظن ابراهيم انه انما وقف ليستنيد . فقال
بشر : « اضربوا عما قال صفحاً . واطووا عنه كشحاً » ثم دفع
اليهم صحيفة من تنميته وتخييره يصح أن نعتبر ما جاء فيها أساساً
لما جرى عليه بعض العرب في تأليف الخطب

قال بشر في هذه الصحيفة : « خذ من نفسك ساعة نشاطك
وفراغ بالك واجابتها اياك . فأن نفسك تلك الساعة اكرم جوهرأ
وأشرف حسباً وأحسن في الاسماع وأحلى في الصدور وأسلم من
فاحش الخطأ . وأجلب لكل عين من لفظ شريف ومعنى بديع .
واعلم ان ذلك اجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالك
والمطاوله . والمجاهدة بالتكليف والمعاودة ومهما اخطاك لم يخطئك

ان يكون مقبولا قصدا . وخفيفاً على اللسان سهلاً . كما خرج من
 ينبوعه ونجم من معدنه . واياك والتوعر فإن اتوعر يسلمك الى التعقيد
 والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين الفاظك . ومن أذاع
 معنى كريماً فليتمس له لفظاً كريماً . فأنت حق المعنى الشريف
 اللفظ الشريف . ومن حقهما أن يصونها عما يفسدهما ويهجنهما
 وعما تعود من اجله الى أن تكون أسوأ حالا منك قبل ان تلتمس
 اظهارها وترهن نفسك بملازمة وقضاء حقهما . فيكن في
 ثلاثة منازل :

« فاول ذلك ان يكون لثقتك رشيقة عذبا أو فخما سهلاً .
 ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً وقریباً معروفاً . أما عند الخاصة
 ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامة اردت .
 والمعنى ليس يتضع ان يكون من معاني العامة . وإنما مدار الامر
 على الشرف مع الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب
 لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامي والخاصي . فان امكنك
 ان تبلغ من بيان لسانك و بلاغة لفظك ولطف مداخلك وقدرك
 في نفسك على ان تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الالفاظ
 المتوسطة التي لا تلتطف على الدهاء ولا تجفو عن الاكفاء فانت
 البليغ التام »

وقد عاش بشر في ايام الرشيد وكانت وفاته في سنة ١٨٣ هـ
 (٨٠٠ م) وكان معتزلي المذهب وانفرد بمسائل فصار رئيس طائفة
 يقال لها البشرية



خطبة لقس بن ساعدة

كان قس خطيباً في جاهلية العرب وأدركه النبي فقال فيه : « يرحم الله قسا
اني لارجو يوم القيامة ان يبعث امة وحده » وينسب اليه انه اول من قال :
« اما بعد » . خطب في سوق عكاظ فقال :

ايها الناس اسمعوا وعوا . من عاش مات ومن مات فات . وكل
ما هو آت آت . ليل داج ونهار ساج وسماء ذات ابراج . ونجوم
تزهو . وبحار تزخر . وجبال مرسة . وارض مدحاة . وانهار مجراد .
ان في السماء خبوا . وان في الارض لعبوا . ما بال الناس مذهبون ولا
يرجعون . أرضوا فأقاموا ام تركو فناموا . يتقسم قس بالله قسما لا
آثم فيه . ان لله ديناً هو ارضى لكم وافضل من دينكم الذي اسم
عليه . انكم لتأتون من الامر منكرا

في الداهيين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رايت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الاكابر والاصاغر
لا يرجع الماضي الي ولا من الباقي غار
أيقنت اني لا محال لتحيث صار التوم صائر

خطبة للنبي

قال الاسكندراني : « كان رسول الله ليس بالطويل ولا بالقصير . صحم
الرأس كث اللحية . عظيم الكتفين والقدمين ومفاصل العظام . ايض مشربا
بحمرة . ادعج العينين سبط الشعر . سهل الحدين اقي الانف اشمه . و
مقدم لحيته ومفرق رأسه شعرات بيض . وكان أرحح الناس عقلا وافضلهم
 رأيا . قليل المزاج واللغو . مطيل الصمت دائم البشر منقاداً لاصحابه متواضعا .
يخفف نعله ويرقع ثوبه . وخرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير زهداً
فيها » . قال في خطبة :

ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم . وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم . ان المؤمن بين مخافتين : بين عاجل قد منى لا يدري ما الله صانع فيه . وبين آجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه . ومن دنياه لآخرته . ومن الشبهة قبل الكبر . ومن الحياة قبل الموت . فوالذي تنس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب

خطبة لابي بكر

كان ابو بكر اول الخلفاء الراشدين وقد ولى الخلافة من سنة ٦٣٢ الى سنة ٦٣٤ م وعند ما بويع بالخلافة فاه بالخطبة التالية :

ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم . والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له . والنفوي منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه . لا يدع احد منكم الجهاد في سبيل الله . فاه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل . ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء . وانا انا متبع ولست بمبتدع . فان استقمتم فتابعوني وان زغت فترموني . وانكم تردون وتروحون في اجل قد غيب عنكم علمه . فان استطعتم الا يمضي هذا الاجل الا وانتم في عمل صالح فافعلوا . وان الله لا يقبل من الاعمال الا ما اريد به وجهه . فاريدوه باعمالكم وان ما اخلصتم لله من اعمالكم فطاعة ايتيموها . . . وضرائب اديتموها وسلف قدمتموه من ايام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم . اعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا في من كان قبلكم اين كانوا امس واين هم اليوم . اين الجبارون . اين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن

الحروب . قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميا . قد ركت عليهم
القالات الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات . وابن الملوك الذين
اثاروا الارض وعمروها . قد بعدوا وانسى ذكرهم وصاروا ككلا شيء
الا وقد ابقى الله عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات . ومضوا
والاعمال اعمالهم والدينا دنيا غيرهم . وبقينا خلفاً بعدهم . فان نحن
اعتبرنا بهم نجونا وان اغترنا كنا مثلهم . ابن الوضاء الحسنة وجوههم
المعجبون بشبابهم . صاروا ترابا وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم .
ابن الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الاعاجيب
قد تركوها لمن خلفهم . فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور .
هل تحس منهم من احد أو تسمع لهم ركزاً . ابن من تعرفون من
ابنائكم واخوانكم . قد انتهت بهم اجالهم . فوردوا على ما قدموا
خلوا عليه واقاموا للشقوة والسعادة بعد الموت . الا ان الله ليس
بينه وبين احد من خلقه سبب يعطيه به خيرا ولا يصرف به عنه
سوءاً الا بطاعته واتباع امره . واعلموا انكم عبيد مدينون وان
ما عنده لا يدرك الا بطاعته . . .

خطبة لعمر بن الخطاب

لما ولى عمر الخلافة (من ٦٣٤ الى ٦٤٤ م) بعد ابي بكر صعد المنبر حمد
الله واثني عليه ثم قال :

يا أيها الناس اني داع فامنوا . اللهم اني غليظ فليمني لأهل
طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة . وارزقني الغلظة
والشدة على اعدائك واهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم
ولا اعتداء عليهم . اللهم اني شحيح فسخني في نوائب المعروف .

قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة . واجعلني ابتغي
بذلك وجهك والدار الآخرة . اللهم ارزقني خفض الجناح ولين
الجانب للمؤمنين . اللهم اني كثير الغفلة والنسيان فاهمني ذكرك
على كل حال وذكّر الموت في كل حين . اللهم اني ضعيف عند
العمل لطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي
لا تكون الا بعزتك وتوفيقك . اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى
وذكّر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع في ما يرضيك
عني والمحاسبة لنفسني واصلاح الساعات واحذر من الشهوات .
اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك والفهم له
والمعرفة بمعانيه والنظر في عجائبه والعمل بذلك ما بقيت . انك
على كل شيء قدير

خطبة لعلي بن ابي طالب

تولى علي الخلافة بين سنة ٦٥٧ وسنة ٦٦١ م بعد عثمان . وقد نسبت
اليه عدة خطب ورسائل هي من ايات البلاغة الحالدة . وفي ما يلي احدى خطبه
حمد الله وانني عليه ثم قال :

اوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم
العمل وترك الأمل . فانه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من امله .
أين التعب بالليل والنهار . المقتحم للجيح البحار . ومفاوز القفار .
يسير من وراء الجبال . وعالج الرمال . يصل الغدو بالرواح والمساء
بالصباح . في طلب محقرات الارباح . هجمت عليه منيته ،
فعظمت بنفسه رزيته . فصار ما جمع بوراً . وما اكتسب غروراً ،
ووافي القيامة محسوراً . ايها الاهي الغار بنفسه كاني بك وقد

اتاك رسول ربك لا يقرع لك بابا . ولا يهاب لك حجبا . ولا
يقبل منك بديلا . ولا يأخذ منك كفيلا . ولا يرحم لك صغيرا .
ولا يوقرفك كبيراً . حتى يؤديك الى قعر مظلمة . أرجأوها موحشة .
كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية . اين من سعى واجتهد
وجمع وعدد . وبنى وشيد وزخرف ونجد . وبالقليل لم يقنع
وبالكثير لم يمتنع . اين من قاد الجنود ونشر البنود . اضحوا رفاتا
تحت الثرى امواتا . واتم بكاسهم شاربون . ولسبيلهم سالكون .
عباد الله فاتقوا الله وراقبوه واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال .
وتنشق السماء بالغمام . وتتطاير الكتب عن الايمان والشمالك

خطبة اخرى لعلي بن ابي طالب

لما اغار سفيان بن عوف الاسدي بجيش من جيوش معاوية على الانبار
وقتل عامل علي عايبا حسان البكري خرج علي حتى جالس على باب السدة محمد
الله واثى عليه ثم قال :

اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة . فمن تركه البسه الله
ثوب الذل واشمله البلاء والزمه الصغار وسامه الخسف . ومنعه
النصف . الا واني دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً
وسراً واعلاناً وقلت لكم : اغزؤهم قبل ان يغزؤكم فوالله ما غزي
قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم ونقل عليكم
قولي . فاتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات . هذا
اخو عامد قد بلغت خيله الانبار وقتل حسان البكري . وازال
خيلكم عن مسارحها وقتل منكم رجلا صالحين . ثم انصرفوا وافرين
ما كلم رجل منهم . فلو ان رجلا مسلما مات من بعد هذا اسفها

ما كان عندي ملوما بل كان به عندي جديراً . فواعجباً من جد هؤلاء في باطلهم وفشلهم عن حقكم . فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ولا تغفرون . وتغزون ولا تغزون . ويعصى الله وترضون . فاذا امرتم بالمسير اليهم في ايام الحر قلتم : « حمارة القبيظ امهلنا حتى يسبخ عنا الحر » . واذا امرتم بالمسير اليهم ضحى في الشتاء قلتم : « امهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القرم » . فانتم والله من السيف افر . يا اشباه الرجال ولا رجال . ويا أحلام أطفال وعقول ربات الحجال . وددت ان الله أخرجني من بين أظهركم وقبضني الى رحمته من بينكم واني لم اركم ولم اعرفكم معرفة . والله حرت وهنا . ووريتم والله صدري غيظاً . وجرعتموني الموت انماساً . وأفسدتم على رائي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب . لله ابوهم . وهل منهم احد اشد لها مراساً وأطول تجربة مني . لقد مارسها وانا ابن عشرين . فها انا ذا قد نيفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع

خطبة اخرى لعلي بن ابي طالب

الحمد لله الذي استخلص الحمد لنفسه واستوجبه على جميع خلقه . الذي ناصية كل شيء بيده ومصير كل شيء اليه . والقوي في سلطانه اللطيف في جبروته . لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع . خالق الخلائق بقدرته ومسخرهم بمشيئته . وفي العهد صادق الوعد . شديد العقاب جزيل الثواب . احمده واستعينه على ما انعم به مما لا يعرف كنهه غيره . واتوكل عليه توكل المستسلم لقدرته . المتبري من الحول والقوة اليه . واشهد شهادة لا يشوبها شك انه

لا اله الا هو وحده لا شريك له الها واحداً صمداً . لم يتخذ صاحبة ولا ولداً . ولم يكن له شريك في الملك . وهو على كل شيء قدير . قطع ادعاء المدعي بقوله عز وجل « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » واشهد ان محمداً صلى الله عليه وسلم صفوته من خلقه وامينه على وحيه . ارسله بالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً والى الحق داعياً . على حين فترة من الرسل . وضلالة من الناس واختلاف من الأمور . وتنازع من اللسن . حتى تم به الوحي وانذر به أهل الارض . اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها العصمة من كل ضلال . والسبيل الى كل نجاة . فكأنكم بالجثث قد زايلتها ارواحها وتضمنتها أجداثها . فلن يستقبل معمر منكم يوماً من عمره الا بانتقاص آخر من اجله . وانما دنياكم كفيء الظل أوزاد الراكب . واحذر كم دعاء العزيز الجبار عبده . يوم تعفى اثاره وبوحش منه دياره ويؤتم صغاره . ثم يصير الى حفير من الارض متغفراً على خده . غير موسد ولا ممد . اسأل الذي وعدنا على طاعته جنته . ان يقينا سخطه ويجنبنا نقمته ويهب لنا رحمته . ان أبلغ الحديث كتاب الله

خطبة اخرى لعلي بن ابي طالب

استفز علي اهل الكوفة لحرب الجمل فاقبلوا اليه مع ابنه الحسن فقام فيهم خطيباً فقال :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين .

اما بعد . فان الله بمث محمداً عليه الصلاة والسلام الى الثقلين

كافة والناس في اختلاف . والارب بشر المنازل . . . فرأب الله به
 الثأي . ولأم به الصدع . ورتق به الفتق . وأمن به السبل . وحقن
 به الدماء . وقطع به العداوة الواغرة في القلوب . والضغائن المخشنة
 للصدور . ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سعيه . مرضياً عمله .
 مغفوراً ذنبه . كريماً عند ربه نزله . فيا لها مصيبة عمت المسلمين .
 وخصت الاقربين . وولى ابو بكر فسار بسيرة رضيعها المسلمون . ثم
 ولى عمر فسار بسيرة ابي بكر رضي الله عنهما . ثم ولى عثمان فتال
 منكم وناثم منه حتى اذا ما كان من امره ما كان اتيتموه فقتلتموه .
 ثم اتيتموني فقلتم لي : بايعنا . فقلت لكم لا افعل . وقبضت يدي
 فبسطتموها . ونازعتم كفي فحذبتموها وقلم : لا نرضى الا بك .
 ولا نجتمع الا عليك . وتداكمكم علي تذاك الابل الهيم على
 حياضها يوم ورودها . حتى ظننت اكم قابلي وان بعضكم قاتل
 بعض . فبايعتموني وبايعني طلحة والزبير سم ما لبثا ان استأذناي
 للعمرة فسارا الى البصرة فقتلا بها المسلمين . وفلا الاذاعيل وهما
 يعلمان والله اني لست بدون واحد ممن مضى . ولو اشاء ان اقول
 لقلت اللهم انهما قطما قرابتي . ونكثا بيعتي والما علي عدوي .
 اللهم فلا تحكم لهما ما ايرما . وارهما المساءة عملا وأملا

خطبة لمعاوية بن ابي سفيان

كان معاوية اول خلفاء الدولة الاموية وقد توفي سنة ٦٠ هـ . الموافقة لسنة
 ٦٨٠ م . وكان « مربى دول وسائس امم وراعي ممالك » ويحكى انه لما حضرته
 الوفاة جمع اهله فقال : الستم اهلي . قالوا : بلى فذاك الله بنا . قال : فهدم
 نفسي قد خرجت من قديمي فردوها علي ان استطعتم . فبكوا وقاتلوا . مالا الى
 هذا سبيل . فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فلا تغرم الدنيا بعدي

قال القحذي: لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش . فقالوا : الحمد لله الذي اعز نصرتك وأعلى كعبك . قال : فوالله ما رد عليهم شيئاً حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

فأني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي . ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة . ولقد رضت لكم نفسي على عمل بن ابي قحافة واردها على عمل عمر فنفرت من ذلك تفاراً شديداً . وأردتها على ثنيات عمان فابت علي . فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ومشاركة جميلة . فان لم تجدونني خيركم فاني خير لكم ولاية . والله لا احمل السيف على من لا سيف له وأن لم يكن منكم الا ما يستشفي به القائل بلسانه . فقد جعلت ذلك له دبر اذني وتحت قدمي . وان لم تجدونني اقوم بحكمكم كله فاقبلوا مني بعضه فان اناكم مني خير فاقبلوه . فان السيل اذا جاء يترى . وان قل اغنى . واياكم والفتنة فانها تفسد المعيشة وتكدر النعمة

خطبة اخرى لمعاوية

صعد منبر المدينة فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

يا أهل المدينة . اني لست أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق يهيمون الشيء وهم فيه . كل امرئ منهم شيعه نفسه . فاقبلونا بما فينا فان ما وراءنا شر لكم . وان معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى ومنكر زماننا معروف زمان لم يات . ولو قد اتى فالرتق خير من الفتق . وفي كل بلاغ . ولا مقام على الرزبة

خطبة اخرى لمعاوية

لما مرض معاوية مرض وفاته قال لمولى له : من بالباب . قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك . قال : ويحك لم ؟ فوالله ما لهم بعدي الا الذي يسوءهم . وأذن للناس فدخلوا . فحمد الله وأثنى عليه واوجز . ثم قال :

أيها الناس . انا قد أصبحنا في دهر عتود وزمن شديد . يعد فيه المحسن مسيئاً ويزداد الظالم فيه عتواً . لا ننتفع بما علمنا . ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا . فالناس على اربعة أصناف منهم من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة نفسه . وكلال حده ونضيض وفره . ومنهم المصلت لسيفه الجلب برجله المعلن بسره . وقد اشترط نفسه وأوقى دينه . خطام يتهززه أو تمتت يقوده ولبئس المتجران تراها لنفسك ثمناً . وبمالك عند الله عوضاً . ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة . ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا . قد طامن من شخصه وقارب من خطوه . وشمر عن ثوبه وزخرف نفسه للامانة . واتخذ ستر الله ذريعة الى المصيبة . ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه . فقصرت به الحال عن حاله . فتجلى باسم القناعة وتزيا بلباس الزهادة . وليس ذلك في مراح ولا مندى . وبقى رجال اغض ابصارهم ذكر المرجع . وأراق دموعهم خوف المضجع . فهم بين شريد باد وبين خائف منقمع وسأكت مكوم . وداع مخلص وموجع ثكلان قد أختلهم التقية . وشملتهم الذلة . فهم في مجراج أفواههم ضامرة وقلوبهم قرحة . قد وعظوا حتى ملوا . وقهروا حتى ذلوا . وقتلوا حتى قلا . فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة

القرظ وقرادة الحلم . واتعزوا بين كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم . وارفضوها ذميمة فتمد رفضت من كان اشفق بها منكم

خطبة لزياد بن ابيه

كان زياد داهية من دهاء العرب ولم يكن يعرف له أب فاستلحه معاوية ابن ابي سفيان بأسرته وادعى انه اخوه وولاه الولايات فاخلص له الخدمة ومك بشيعة علي وجعل يتعقبهم في انحاء ولايته . وقد مات سنة ٥٣ هـ (٦٧٤ م) قيل أن معاوية ولاء البصرة وخراسان وسجستان . والفسق بالبصرة ظهر فاش . فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها قال فيها :

أما بعد فإن الجهالة الجاهلاء والفضلالة العمياء والنعمى الموفى باهله على النار ما فيه سفهاؤكم وتشتمل عليه حلمائكم من الامور العظام نبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير . كأنكم لم تقرأوا كتاب الله . ولم تسمعوا لما اعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته . والعذاب العظيم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا . وسدت مسامعه الشهوات . واختار الفانية على الباقية . ولا تذكرون انكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه من ترككم هذه المواخير المنصوبة . والصفقة المسلوقة . في النهار المبصر . والعدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية تمنع الفواة عن دج الليل وغارة النهار . . . كل امرئ منكم يذب عن سفهه : صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً . ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء . فلم يزل بكم من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام . . .

حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالارض هدماً واحراقاً .

اني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح الا بما صلح به اوله : لين في غير ضعف وشدة في غير عنف . واني اقسم بالله لا آخذن الولي بالولي والمقيم بالضامن . والمقبل بالمدير . والصحيح بالسقيم حتى يلتقي الرجل منكم اخاه فيقول : انج سعيده فقد هلك سعد . أو تستقيم لي قناتكم . ان كذبة الامير تلتفى مشهورة . فاذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي

من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب له . فاي اي ودلج الليل فاني لا اوتي بمدلج الا سنكت دمه . وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما ياتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم . واي اي ودعوى الجاهلية . فاني لا أجد أحداً دعا بها الا قطعت لسانه . وقد أحدثتم احداثاً لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عفوبة . فمن اغرق قوما اغرقناه . ومن احرق قوما أحرقناه . ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه . ومن نبش قبراً دفناه فيه حيا . فكنوا عني ألسنتكم وأيديكم اكف عنكم يدي ولساني . ولا يظهرون من أحد منكم رية بخلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه . وقد كانت بيني وبين قوم احن فجعلت ذلك درازني وتحت قدمي . فمن كان محسناً فليزدد في احسانه . ومن كان مسيئاً فليززع عن اسائه . اني وان علمت أن احكم قد قتله السل من بنضي لم اكشف له قناعاً ولم أهتك له ستراً حتى يبدي لي صفحته فأن فدل لم أناظره . فاستأنفوا أموركم واعينوا على أنفسكم . فرب مبتأس بقدمنا سيسر . ومسرور بقدمنا سيبتأس ايها الناس انا أصبحنا لكم ساسة وعنكم دارة نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا . ونذود عنكم بفيء الله الذي حولنا . فلنا عليكم

السمع والطاعة في ما أحببنا ولكم علينا العدل في ما أولينا . فاستوجبوا
عدلنا وفيئنا بمناسحتكم لنا . واعلموا اني مهما أقصر فيه فلن أقصر
عن ثلاث : لست محتجباً عن طالب حاجة ولو أنا في طارقا بليل .
ولا حابساً عطاء ولا رزقا . . . ولا جبراً لكم بعثا
فادعوا الله بالصالح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم
الذي اليه تأوون . ومتى يصلحوا تصالحوا . ولا تشربوا قلوبكم
بغضهم فيشتد لذلك أسفكم . ويطول له حربكم ولا تدركوا حاجتكم
مع انه لو استجيب لكم فيهم لكان شراً لكم . اسأل الله أن يعين
كلا على كل . واذا رأيتموني انفذ فيكم امرأ فانفذوه على ادلاله .
وايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن
يكون من صرعاي (مختصرة)

خطبة ليزيد بن معاوية

يبيع ليزيد بالخلافة يوم مات ابوه معاوية وتوفي سنة ٦٤ هـ الموافقة لسنة
٦٨٣ م . وقد « تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب »
خطب بعد موت ابيه فقال :

الحمد لله الذي ما شاء صنع . من شاء اعطى ومن شاء منع .
ومن شاء خفض ومن شاء رفع . ان امير المؤمنين كان جبلا من
جبال الله مده ما شاء أن يمه . ثم قطعه حين أراد أن يقطعه . وكان
دون من قبله . وخيراً ممن يأتي بعده . ولا أزكيه عند ربه وقد صار
اليه . فان يعف عنه فبرحمته . وان يعاقبه فبذنبه . وقد وليت بعده
الامر . ولست اعتذر من جهل . ولا آسى علي طلب علم

خطبة خالد بن الوليد

كان خالد بن الوليد من المشهورين بالشجاعة والشرف والرياسة . سباه النبي « سيف الله » وحارب مسيلمة الكذاب وهدم العزى وله اثار مشهورة في قتال الروم والفرس وكانت وفاته في خلافة عمر سنة ٢١ هـ الموافقة لسنة ٦٤٣م وقد خط الخطبة التالية بين جيوشه يحضهم على القتال في اجنادين احدى نواحي فلسطين في معركة بين الروم والعرب قال :

يا معاشر الناس انصروا الله ينصركم . وقاتلوا في سبيل الله واحتسبوا انتسكم في سبيل الله واصبروا على قتال أعدائكم . وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم ودينكم . وليس لكم ملجأ تلجأون اليه وممكن تكمنون فيه . فاقربوا المناكب وقدموا المضارب . ولا تحملوا حتى أمركم بالحمية . ولتكن السهام مجتمعة اذا خرجت من القسي كأنها تخرج من كبد قوس واحد . فانه اذا تلاححت السهام رشقا كالجراد لم يخل أن يكون فيها سهم صائب . واصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون . واعلموا أنكم لا تفلحون عدوا مثل هذه الفئة حماهم وأبطالهم وموكلهم

خطبة طارق بن زياد

كان طارق بن زياد مولى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك الحليفة الاموي في امريقية . وكان منزله القيروان . وحدث ان يوليان احد رجال الدين في اسبانيا كان حافداً على الملك . فوضع حقه فوق وطه . وارسل الى موسى فاستنجد به . فارسل اليه موسى طارقا . فعبر بجر العدو والتقى بالملك رودريق فحارب اياما وقتل اعداءه . وصارت الاندلس للعرب . وسرع موسى بخبر الفتح وحشد طارقا فعبر البحر في عشرة الاف فتلقاء طارق وترضاء فوضى عنه . وسار موسى بن نصير الى فرنسا وقطع جبال بينيه وبلغ كركونا . ثم

استرجعه الخليفة الوليد الى دمشق ونكبه ونفاه الى مكة فتوفي بها في سنة ٩٧ هـ الموافقة لسنة ٧١٨ م . وكان فتح طارق للاندلس في سنة ٧١١ م وكان خروج المسلمين من الاندلس سنة ١٤٩٢ م لما بلغ طارقا دنو رودريق قام في اصحابه فحمد الله واثنى عليه بما هو امله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم ثم قال :

ايها الناس ابن المفر . البجر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مادبة اللثام . وقد استتبلكم عدوكم بجيشه . واسلحته واقواته موفورة . وانم لا وزر لكم الا سيوفكم . ولا اقوات الا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم . وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ربحكم وتعوضت القلوب من رعبها عنكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية . فقد القت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت . واني لم احذركم أمراً انا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس الا وانا أبدأ بنفسي . واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفة الالذ طويلا . فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حظكم فيه باوفر من حظي . وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الخيرات العظيمة . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عرباناً . ورضيكم للملك هذه الجزيرة اصهاراً وأختاناً . ثقة منه بارتياحكم للطعان . واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان . لبيكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة . ولتكون بغيرها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين

سواكم . والله تعالى ولي أمجادكم على ما يكرن لكم ذكراً في الدارين .
واعلموا اني أرسل بحبيب الى مادعوتكم اليه . واني عند ملتقى الجمعين
حامل بنفسي على طاعة القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى .
فاحملوا معي فان هلكت بعده ففد كفيهم امره ولم يعوزكم بطل عاقل
تسندون امورك اليه . وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في
عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا الهمة من فتح هذه
الجزيرة بقتله

خطبة لعمر بن عبد العزيز

كان عمر بن عبد العزيز أحد خلفاء بني امية وكان عفيفاً زاهداً يميل الى
النسك والاعتكاف وكان يتحرى سيرة الخلفاء الراشدين وهو اول من فرض
لابناء السبيل واظل في الخطب سب علي بن ابي طالب . وكانت خلافته من
سنة ٧١٧ الى سنة ٧٢٠ م . وقيل انه مات مسموماً دس له الامويون سماً
خشية ان يعيد الخلافة شورى بين المسلمين فتخرج من ايديهم . ومن خطبه
هذه الخطبة التي القاها في خاصرة :

أيها الناس . انكم لم تخلقوا عبداً ولم تتركوا سدى . وان انكم
معاداً يحكم الله بينكم فيه . نخاب وخسر من خرج من رحمة الله
التي وسعت كل شيء وحرم جنة عرضها السموات والارض .
واعلموا ان الامان غدا لمن يخاف اليوم وباع قليلاً بكثير وفانياً
بباق . الا ترون انكم في أصلاب الهالكين . وسيخلفها من بعدكم
الباقون حتى يردوا الى خير الوارثين . انكم في كل يوم تشيعون
غادياً ورائحاً الى الله قد قضى نحبهم وبلغ أجلهم . ثم تغيّبونه في صدع
من الارض . ثم تدعونه غير موسد ولا ممد . قد خلع الاسباب
وفارق الاحباب . وواجه الحساب . غنياً عما ترك فقيراً الى

ما قدم . وإيم الله اني لأقول لكم هذه المائة وما أعلم عند أحد منكم
أكثر مما عندي . وأستغفر الله لي ولكم . وما تبلغنا حاجة يتسع لها
ما عندنا الا سدودناها . ولا أحد منكم الا وددت ان يده مع يدي
ولحمتي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم . وإيم الله اني لو
أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا
عالمًا بأسبابه . ولكنه مضى من الله سنة عادة دل فيها على طاعته
ونهى عن معصيته

خطبة لقطري بن الفجاءة

كان قطري أحد رؤوس الحوارج الذين كانوا يعدون خلفاء بني أمية وعلي
ابن أبي طالب مفتصبين للخلافة فلم تكن عليهم لهم طاعة . وكانوا يولون خلفاءهم
بأنفسهم . فكان قطري أحد خلفائهم . وكان يجمع بين الشجاعة والبلاغة .
وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يسير اليه جيشاً بعد جيش فيعود بالهزيمة . ولم
تزل الحال كذلك حتى توجه اليه سفيان بن الأبرد فظهر عليه وقتله سنة ٧٨ هـ
الموافقة لسنة ٦٩٨ م

وهذه الخطبة ينسبها جامع « مهج البلاغة » الى علي بن أبي طالب كما هي
عادته في نسبة كل ما يستجيده من الخطب والكلام البارع اليه حتى بلغ به الشطط
أن نسب أكثر الحكم اليونانية المشهورة اليه
قال قطري :

أما بعد فأني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات
وراققت بالتلليل . وتجلبت بالعاجل وغمرت بالامال . وتحملت بالاماني
وزينت بالغرور . لا تدوم زهرتها ولا تؤمن فجعتها . غرارة ضرارة .
وحائلة زائلة . ونافذة بائدة . لا تعدو اذا تناهت الى أمنية أهل
الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قيل : كماء أنزلناه فاختلط به
نبات الأرض فاصبح هشيمًا . مع ان امرأ لم يكن منها في حبرة الإ

اعقبته بعدها عبرة . ولم يبق من سراها بطناً . الا منحتة من ضرائها
ظهوراً . ولم تطله منها ديمة رخاء . الا هطلت عليه مزنة بلاء . وحري
اذا اصبحت له منتصرة ان تسمي له خاذلة متنكرة . وان جانب منها
اعذوب واحلولى أمر عليه منها جانب فأوبا . وان لبس امرؤ من
غضارتها ورفاهيتها نعماً أرهقته من نوائبها غماً . ولم يمس امرؤ منها
في جناح أمن الا أصبح منها في قوادم خوف . غرارة غرور ما فيها
باقية . فان ما عليها . لا خير في شيء من زادها الا التقوى .
من أقل منها استكثر مما يؤمنه . ومن استكثر منها لم يدم له . وزال
عما قليل عنه . . . كم واثق بها قد خبته وذي طمأنينة اليها قد
صرعته . وكم من محال بها قد خدعته . وكم ذي أبهة فيها قد صيرته
حتيراً وذي نخوة فيها قد رده ذليلاً . وذي تاج قد كنبه للبدن
والفم . سلطانها دول . وعيشها رنق . وعذبا أجاج . وحلوها مر .
وغذاؤها سام . وأسبابها زحام . وقطافها ساع . حياها بعرض موت
وصحيحها بعرض سقم . ومنيعها بعرض انهضام . مليكها هسلوب .
وعزيزها مغلوب . وسليمها منكوب . وجارها وجامعها محروب .
مع ان من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته وهول المظلم والوقوف
بين يدي الحكم العدل . ليجزي الذين أساءوا بما عملوا . ويجزي
الذين أحسنوا بالحسنى . الستم في مساكن من كان منكم أطول
أعماراً . وأوضح آثاراً . وأعد عديداً . وأكثف جنوداً . وأعد
عتادا . وأطول عماداً . تعبدوا الدنيا أي تعبد . وآثروها أي اثار .
وظعنوا عنها بالكراهة والصغار . فهل بلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفساً
بفدية . . . بل أرهقتهم بالقوادح وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم
للمناخر : واعانت عليهم ريب المنون وأرهقتهم بالمصائب . وقد

رأيتكم تنكروها لمن دان لها وآثرها وأخذ اليها . حتى ظعنوا عنها
لعراق الابد الى آخر الامد . هل زودهم الا الشقاء واحلتهم الا
الخنك . او نورت لهم الا الظلمة . واعتبتهم الا الندامة . افهذه
تؤثرون . أو على هذه محرصون . او اليها تطمئننون . فبئست الدار
لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها . اعلموا - وانتم تعلمون -
انكم تاركوها الابد . فانما هي امب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكابر
في الاموال والاولاد . فاتعظوا فيها بالذين يبشون بكل ربع آبة
تعبشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وبالذين قالوا : من أشد
منا قوة . واتعظوا بمن رأيتكم من اخوانكم كيف حملوا الى قبورهم
فلا يدعون ركباناً . وانزلوا فلا يدعون ضيفانا . وجعل لهم من
الضريح اكثان . ومن التراب اكفان . ومن الرفات جيران .
فهم جيرة لا يحيبون داعيا ولا يمنعون ضيا . ان اخصبوا لم يفرحوا .
وان قحطوا لم يقطوا . جمع وهم آحاد . جيرة وهم أبعاد . متناؤون
وهم يزارون ولا يستزيرون . حباء قد ذهبوا اضغانهم . وجبلاء
قد ماتت أحتادهم . لا يخشى جمعهم . ولا يرجى دمعهم . وهم كمن لم
يكن . استبدلوا بظهر الارض بطننا وبالسمة ضيئنا وبالآل غربة
وبالنور ظلمة . فجأؤوها حنافة عراة فرادى غير ان ظعنوا
باعمالهم الى الحياة الدائمة . الى خاود الابد . فاحذروا ما حذركم الله
وانتفعوا بما وعظه واعتصموا بحبله . عصمنا الله واياكم بطاعته
ورزقنا واياكم اداء حقه

خطبة للحجاج

كان الحجاج بن يوسف الثقفي عامل الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان وتوفي سنة ٩٧ هـ . الموافقة لسنة ٧١٦ م . وكان شرس الطبع سفاكاً للدماء ولم يكن يحجل من الجهر بأن اكبر لذاته سفك الدماء . وهو الذي بنى مدينة واسط وينسب اليه وضع علامات بحروف المشبهة في الخط العربي حتى لا يقع تصحيف في القرآن . ولولاه لاستفح امر الحوارج فهو الذي خضد شوكتهم بما أرسله عليهم من الجيوش تلو الجيوش ومما يحكى عنه انه قال في احدى خطبه : « سوطي سيبي ونجاده في عنقي وقائمه في يدي ودبابه قلادة لمن اعتر بي » . وكان الحسن حاضراً فقال : « بؤسا لهذا ما اغره بالله »

خديج بن اهل العراق قتال :

يا أهل العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والاطراف والاعضاد والشفاف . ثم مضى الى الاخاخ والاصماخ . ثم ارتفع فعمش ثم باض وفرخ . فحشاكم شقاقا ونفاقا... اتخذكم دليلا تتبعونه وقائداً تطيعونه ومؤمراً تستشيرونه وكيف تنفعكم تجربة أو تعضكم وقعة أو يحجزكم اسلام أو يردكم ايمان . الستم أصحابي بالاهواز . حيث رمتهم المكر وسعهم بالغدر واستجهمتم للكفر . وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته . وانا ارميكم بظرفي وأنهم تسللون لواذاً وتهزمون سراعاً . يوم الزاوية وما يوم الزاوية . بها كان فشلكم وتنازعكم ونحاذلكم وراءة الله منكم ونكوص وليه عنكم إذ وليتم كالابل الشوارد الى أوطانها . النوازع الى أعطانها . لا يسأل المرء منكم عن اخيه . ولا يلوي الشيخ على بنيه . حتى عضكم السلاح وقصمتكم الرماح . يوم دير الجماجم وما دير الجماجم . نها كانت المعارك والملاحم . بضرب يزيل

الهام عن مقيله . وبذهل الخليل عن خليله . يا أهل العراق . والكفريات الفجرات والغدرات بعد الخترات والثورة بعد الثورات . . . هل استخفكم ناكث واستغواكم غاو واستفزكم عاص واستصرحكم ظالم واستعصدكم خالع الا وثبتموه وآريتموه وغررتموه ونصرتهموه ورضيتهموه . يا أهل العراق . هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو نمق ناعق أو زفر زافر الا كنتم اتباعه وأنصاره . يا اهل العراق . ألم تهكم المواعظ . ألم نرجركم الوقائع

خطبة أخرى للحجاج

خطب بأبصرة فحمد الله ونفى عليه ثم قال :

ان الله كفانا مؤونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة . فليته كفانا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا . ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهاً لكم لا يعلمون . وشراركم لا يتوبون . ما لي أراكم محرصون على ما كنفيتم وتضيعون ما به أمرتم . ان العلم يوشك أن يرفع . ورفعته ذهب العلماء . الا وانى اعلم بشراركم من البيطار بالفرس . الذين لا يقرأون القرآن الا هجراً . ولا يأتون الصلاة الا درأ . الا وأن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر . الا وأن الآخرة أجل مستأخر يحكم فيها ملك قادر . الا فاعملوا وانتم من الله على حذر . واعلموا انكم ملاقوه ليجزي الذين اساءوا بما عملوا . ويجزي الذين احسنوا بالحسنى . الا وان الخير كله بمخذافيه في الجنة . الا وأن الشر كله بمخذافيه في النار . الا وان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . واستغفر الله لي ولكم

خبطة اخرى للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار . وقد كان فشا امر الخوارج وتفاقم . وتناقل الناس عن اللحاق ذئلب الذي كان يناجزهم . فصعد المنبر وهو ملثم بعمامة حمراء . فقال : علي بالاس ، خسيبوه واصحابه خوارج فهموا به . حتى اذا اجتمع الناس قام ثم كشف عن وجهه وقال :

انا ابن جلا وطلاع الشنايا متى اضع العمامة تعرفوني
صليب العود من سلبي نزارا كنصل السيف وضاح الجبين
وماذا تتخني الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربيين
اسدو خمسين مجتعم اشدي وننجدني مداورة الشؤون
. . . أما والله اني لأحمل الشر بحمله واحذوه بمنله واجزيه
بمثله . واني لأرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها . واني لصاحبها
واني لأنظر الدماء بين العمام واللحي تترقرق :

قد شمرت عن ساقها فشمري هذا أوان الحرب فاشتدي زيم
قد لفيها الليل بسواق حطيم ليس براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهير وضم

قد لفيها الليل بعصلي اروع جراح من الدوى
مهاجر ليس باعرابي

قد شمرت عن ساقها فشدوا ما علي وانا شيخ اد
والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو اشد
اني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساويء
الاخلاق . لا ينمز جانبي كتنماز التنين . ولا يقعقع لي بالشان . ولقد
فررت عن ذكاء . وفشتت عن تجربة . واجريت مع الغاية .

وان امير المؤمنين نثر كنانته ثم عجم عيدانها . فوجدني امرها عودا
 واشدها مكسراً . فوجهني اليكم وربما كم بي . فانه قد طالما اوضعتم
 في الفتن . وسئتم سنن التي . وايم الله لالحونكم لحو العصا .
 ولا قرعنكم قرع المروة . ولا عصبنكم عصب السلمة . ولا ضر بنكم
 ضرب غرائب الابل . اما والله لا اعد الا وفيت . ولا اخلف
 الا فريت . وإياي وهذه الزرافات والجماعات . وقال وقيل . وما
 يقولون وفيم أنتم . والله لتستتسن على طريق الحق أو لأدعن
 لكل رجل منكم شغلا في جسده . من وجدته بعد ثالثة من بمث
 المهلب سفكت دمه وانتهبت ماله وهدمت منزله

خطبة لابي حمزة

في اواخر الدولة الاموية خرج عبد الله بن يحيى وكان من حضرموت فانكر
 طاعة خلفاء بني امية « لأنه رأى جورا ظاهراً وعسفاً شديداً وسيرة في لباس
 قبيحة » فدعا الناس الى مبايعته . فبايعوه . وكان من أشد أنصاره رجل يدعى
 ابا حمزة . فجيش الجيوش وفتح مكة والمدينة . وفتح ابو حمزة المدينة في سنة
 ١٣٠ هـ . وخطب اهلها الخطبة التالية :

يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هؤلاء . فأسأتم لعمر الله
 فيهم القول . وسألناكم : هل يقتلون بالظن ؟ فقلتم : نعم . وسألناكم :
 هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام ؟ فقلتم : نعم . فقلنا لكم :
 تعالوا نحن وأنتم . فنناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ليختار
 المسلمون لانفسهم فقلتم لا تفعلون . فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم
 نلقاهم . فأن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه
 وان نظفر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم . ونه

فيئكم بينكم . فان أيتهم وقاتلتهمونا دونهم قاتلناكم . فابعدكم الله
واسحطكم يا أهل المدينة . مررت بكم في أزمان الاحول هشام
ابن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فركبتم اليه تسالونه ان
يضع خراجكم عنكم . فكتب بوضعها عنكم . فزاد الغني شفي وزاد
الفقر فمراً . فقلتم : جزاكم الله خيراً . فلا جزاه الله خيراً
ولا جزاكم

خطبة اخرى لأبي حمزة

خطب هذه الخطبة في اهل المدينة فحمد الله واثى عليه ثم قال :

أتعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا
بطراً ولا عبثاً ولا لهواً . ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه .
ولا نأثر قديم نيل منا . ولكننا رأينا مصاييح الحق قد عطلت .
وعنف الفائل بالحق . وقتل القائم بالقسط . ضاقت علينا الارض
بما رحبت . وسمعنا داعياً يدعو الى طاعة الرحمن وحكم القرآن .
فاجبنا داعي الله . ومن لا يجيب داعي الله فليس بمعجز في الارض .
فاقبلنا من قبائل شتى . النفر منا على بئر واحد عليه زادهم وانفسهم .
يتعاورون لحافاً واحداً . قليلون مستضعفون في الارض . فأوانا الله
وايدنا بنصره . وأصبحنا والله بنعمته اخوانا . ثم لقينا رجالكم
بقديد . فدعوناهم الى طاعة الرحمن وحكم القرآن . ودعونا الى طاعة
الشیطان وحكم مروان وآل مروان . شتان لمر الله ما بين النفي
والرشد . ثم أقبلوا يهرعون ويزفون . قد ضرب الشيطان فيهم بحجرانه
وغلت بدمائهم مراحله . وصدق عليهم ظنه . وأقبل أنصار الله

عصائب وكتائب . بكل مهند ذي رونق . فدارت رحانا واستدات
 رحاعم بضرب يرتاب منه المبطلون . وأنتم يا اهل المدينة ان تنهـ . روا
 مروان وآل مروان يسحقكم الله بهذاب من عنده أو بايدنا ويشف
 صدور قوم مؤمنين . يا اهل المدينة ان أولكم خير اول واخركم شر
 آخر . يا اهل المدينة . الناس منا ونحن منهم الا مشركا عابد وثن .
 أو كافراً من أهل الكتاب . أو اماماً جائراً . يا أهل المدينة . من
 زعم ان الله تعالى كلف نفساً فوق طاقتها ، أو سألها عما لم يؤتها .
 فهو لله عدو ولنا حرب . . . يا أهل المدينة بلغني انكم تمتصون
 أصحابي . قاتم هم شباب أحداث وأعراب جناة . ويحكم يا اهل
 المدينة . وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شباباً
 أحداثاً ؟ شبابا والله . مكملون في شبابهم . غضبضة عن الشر
 اعينهم . ثفيلة عن الباطل أقدامهم . قد باعوا أنفسهم تمرت غدا .
 بانفس لا تمرت ابداً . . . منجنية أصلاهم على أجزاء القرآن .
 كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفا من النار . وإذا مروا بآية شوق
 شهقوا شوقا الى الجنة . فلما نظروا الى السيوف قد انتضيت والى
 الرماح قد أشرعت والى السهام قد فوقت . وارعدت الكتيبة
 بصواعق الموت . استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله . ولم
 يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة . فطوبى لهم وحسن مآب .
 فكم من عين في منار طائر طالما بكى بها صاحبها من خشية الله .
 وكم من يد قد ابينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راعها
 وساجداً . أقول قولي هذا واستغفر الله من تقصيرنا وما توفيقي
 الا بالله عاينه توكلت واليه أُنِيب

خطبة المنصور الخليفة العباسي

كان الخلفاء العباسيون يمتازون على خلفاء بني أمية بقرابتهم من النبي . وكانت هذه القرابة سبباً في نعمة دينية يتباهون بها على سائر المسلمين . فكانوا يتكلمون بلهجة باباوات رومية في القرون الوسطى . وكانوا يتجادون في الاتوقراطية لا يعرفون معنى للشورى أو الدستور . وخطبة المنصور تدل القارىء على مبلغ عتو هذه الدولة وغرور خلفائها بنفوسهم كما هي أيضاً علامة من دلائل الزمن آذنت بالمحطاط الدول العربية التي رضيت باستبداد خلفائها . وقد بويع المنصور في سنة ١٣٦ هـ الموافقة لسنة ٧٥٤ م وتوفي في سنة ٧٧٥ م . وهو قاتل أبي مسلم الحراساني مؤسس الدولة العباسية وباني مدينة بغداد

خطب في مكة فقال :

أيها الناس انما انا سلطان الله في ارضه اسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده . وحارسه على ماله اعمل فيه بمشيئته وارادته وأعطيته باذنه فتد جعلني الله عليه قتلاً . ان شاء أن يفتحنى فتحنى لاعطائكم وقسم ارزاقكم . فان شاء أن يقتلني عليها اقتلني . فارغبوا الى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضلة ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول : « اليوم اكملت لكم دينكم واعممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ان يوفقني للرشاد والصواب . وأن يلهمنى الرأفة بكم والاحسان اليكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

خطبة الخليفة المهدي

لما توفي المنصور بويع لابنه المهدي وكان المهدي « شديداً على اهل الاحاد والزندقة لا تؤخره في اهلا كهمل لومة لائم » وقد حكم من سنة ٧٧٥ الى سنة ٧٨٥ م . والخطبة التالية اشهر ما يؤثر عنه

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ورضي به من خلقه .
واحده على الائه واجده لبلائه . . . واستعينه وأومن به وأتوكل
عليه توكل راض بقضائه وصابر لبلائه . اوصيكم عباد الله بتقوى
الله فان الاقتصار عليها سلامة . والتكليف لها ندامة . واحثكم على
أجلال عظمته وتوقير كبريائه وقدرته . والالتناء الى ما يقرب من
رحمته . وبنجي من سيخطه . وينال به ما لديه من كريم الثواب .
وجزيل المآب . فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب . وائم
العذاب . ووعيد الحساب . يوم توقفون بين يدي الجبار .
وتعرضون فيه على النار . يوم لا تتكلم نفس الا باذنه . فمنهم شقي
وسعيد . يوم يفر المرء من أخيه وأمه وبنيه . لكل امرئ يومئذ
شأن يغنيه . يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل
ولا تنفعها شفاعاة ولا هم ينصرون . يوم لا يحجز والد عن ولده
ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً . ان وعد الله حق . فلا تغرنكم
الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . فان الدنيا دار غرور وبلاء
وشرور . واضمحلال وزوال . وتقلب وانتقال . قد أفنت من
كان قبلكم وهي عائدة عليكم وعلى من بعدكم . من ركن اليها صرعه
ومن وثق بها خائته . ومن املها كذبتة . ومن رجاها خذلته .
عزها ذل . وغناها فقر . والسعيد من تركها والشقي من آثرها .
والمغبون فيها من باع حظه من دار آخرته بها . فالله . الله . عباد
الله . والتوبة مقبولة والرحمة مبسوطة . وبادروا بالأعمال الزكية
في هذه الايام الخالية قبل أن يؤخذ بالكظم وتندموا فلا تنالون
الندم يوم حسرة وتأسف . وكآبة وتلهف . يوم ليس كالايام .
وموقف ضنك المقام

خطبة لهارون الرشيد

كان هارون الرشيد خامس الخلفاء العباسيين وكان « يبكي على نفسه وعلى اسرافه وذنبه » و « له مناقب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى وله اخبار في اللهو واللذات ساعده الله »

قال النهرواني : « اعلم ان مما يتحققه الدافل ان الدنيا دار الاكدار وان اخف الحاقى بلاء والمأ الفقراء . وأعظم الناس تعباً وهماً وغماً هم الملوك والامراء . . . ان هارون الرشيد من اعقل الخلفاء العباسيين وأكملهم رأياً وتديراً وفطنة وقوة واتساع ملكة وكثرة خزائن بحيث كان يقول للسحابة : امطري حيث شئت فان خراج الارض التي تمطرين فيها يجيء الي وكان مع ذلك اتعبهم خاطراً واشغلهم قلباً »

ولي الرشيد سنة ١٧٠ وتوفى سنة ١٩٣ هـ . (٧٨٦ - ٨٠٩ م)

وهذه احدى خطبه

الحمد لله الذي نحمده على نعمه . ونستعينه على طاعته . ونستنصره على اعدائه . ونؤمن به حقاً ونوكل عليه مفوضين اليه . اوصيكم عباد الله بتقوى الله . فان في التقوى تكفير السيئات . وتضعيف الحسنات . وفوزاً بالجنة ونجاة من النار . وأحذركم يوماً تشخص فيه الابصار . وتبلى فيه الأسرار . يوم البعث ويوم التغابن ويوم التلاقي ويوم التنادي . يوم لا يستعتب من سيئة ولا يزداد في حسنة . يوم الآزفة . إذ القلوب لدى الخناجر كاظمين . ما للظالمين من حيم ولا شفيع يطاع . يعلم خافية الاعين وما تخفي الصدور . . . فاتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله . ثم توفى كل نفس ما كسبت . حصنوا أيمانكم بالآمانة ودينكم بالورع وصلاتكم بالزكاة . . . واياكم والاماني فقد غرت واوردت وأوبقت كثيراً حتى اكذبتم منايهم .

فتناوشوا التوبة من مكان بعيد . وحيل بينهم وبين ما يشتهون .
فرغب ربكم عن الأمثال والوعد وقدم اليكم الوعيد . وقد رأيتم
وقائمه بالقرون الخوالي جيلاً فجيلاً . وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة
والعشائر باختطاف الموت اياهم من بيوتكم ومن بين اظهركم لاتدفعون
عنهم ولا تحولون دونهم . فزال عنهم الدنيا وانقطعت بهم الاسباب
فاسلمتهم الى اعمالهم عند المواظف والحساب . ليجزي الذين اساءوا
بما عملوا والذين احسنوا بالحسنى

خطبة للمأمون

قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي : « ... ثم لما أفضت الخلافة فيهم الى
الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد تمم ما بدأ به جده المنصور
فاقبل على طلب العلم في مواضعه . ودخل ملوك الروم صلاته بما لديهم من كتب
الفلسفة . مبعثوا اليه منها ما حضرهم . فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم أحكام
نرجمتها . فترجت له على غاية ما امكن . ثم حرض الناس على قراءتها ورغبتهم في
تعليمها . فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمنظرهم ويلتذ بمذاكرتهم . علماً منه
أن اهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده »

بويح له بالخلافة في سنة ١٩٨ هـ وتوفي في بعض غزواته ٢١٨ هـ (٨١٣ -

٨٣٣ م)

وهذه احدى خطبه الناهية في الفطر

. . . الا وان يومكم هذا يوم عيد وسنة وابتهاال ورغبة .
يوم ختم به الله صيام شهر رمضان وافتتح به حج بيته الحرام .
فجعله أول ايام شهور الحج وجعله معقباً لمفروض صيامكم ومتقبل
قيامكم . فاطلبوا الى الله حوائجكم واستغفروه لتفريطكم . فانه
يقال : لا كثير مع ندم واستغفار . ولا قليل مع تئاد وادمرار . . .
اتقوا الله عباد الله وبادروا الامر الذي لم يحضر الشك فيه أحداً

منكم . وهو الموت المكتوب عليكم . فانه لا يستقال بعده عثرة ولا
تحظر قبله توبة . واعلموا انه لا شيء بعده الا فوقه ولا يمين على
جرعه وعكره وكر به وعلى التبر وظلمته ووحشته وضيقه وهول
مطلعه ومسألة ملكيه الا العمل الصالح الذي أمر الله به . فمن
زلت عند الموت قدمه فقد ظهرت ندامته . وفاته استقامته .
ودعا من الرجعة ما لا يجاب اليه وبذل من القدية ما لا يقبل منه .
فالله الله . عباد الله . كونوا قوماً سألوا الرجعة فأعطوها إذ منعها
الذين طلبوها . فانه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم الا هذا الأجل
المبسوط لكم . فاحذروا ما حذركم الله منه . واتقوا اليوم الذي
يجمعكم الله فيه . لوضع موازينكم ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم
فلينظر عبد ما يوضع في ميزانه مما يثقل به ومما يلى في صحيفته الحافظة
لما عليه ولست أنها كم عن الدنيا بأكثر مما نهتكم به الدنيا
عن نفسها . فان كل ما بها يحذر منها وينهي عنها . وكل ما فيها يدعو
الى غيرها . وأعظم ما رأته أعينكم من فجائتها وزوالها ذم الله لها
والنهي عنها فانه يقول تبارك وتعالى : فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا
يفرنكم بالله الغرور . وقال : انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاهر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد . فانتفعوا بمعرفتكم بها
وباخبار الله عنها . واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة
الله . فحذروا مصارعها وجانبوا خدائعها . وآثروا طاعة الله فيها
وادركوا الجنة بما يتركون منها

خطبة نحر الدين بن لقمان

لما بويغ بالخلافة للمستنصر بالله الخليفة العباسي المولود سنة ٥٨٨ والمتوفى سنة ٦٤ هـ (١١٩٣ - ١٢٤٢ م) صعد فخر الدين بن لقمان رئيس الكتاب منبراً فقرأ على الملك ظاهر تقليده السلطاني وكان هذا التقليد من انشائه ومن هذا التقليد يرى القارىء ان الخلافة صارت وظيفة دينية . فكان الطاهر يمثل الحكومة والمستنصر يمثل الخلافة . واذا كان الطاهر قد حصل على سند شرعي لحكومته من المستنصر فان هذا ايضاً قد حصل على نقوة التي يدعم بها خلافته من الطاهر . وقد كانت الخلافة العباسية أرشكت على الزوال فاحياها الطاهر واستندم الخليفة اليه في مصر ويكاد الانسان يلمح ارتباطاً من الخطيب في تمييزه بينهما ومعرفة التابع والمتبوع منهما . وفخر الدين هذا هو الذي اعتقل في بيته في المنصورة ملك الفرنسيين لويس التاسع . قال ابن لقمان :

الحمد لله الذي أضفى على الاسلام ملابس الشرف . وأظهر بهجة دره وكانت خافية بما استحکم عليها من الصدف . وشيد ما وهى من علائه حتى انسى به ذكر من سلف . وفيض لنصره ما وكا اتفق عليهم من اختلاف . أحمده على نعمه التي وقعت الاثنين منها في الروض الأتف . والطفاه التي وقف الشاكر عليها فليس له عنها منصرف

وبعد فأن اولى الاولياء بتقديم ذكره . وأحتهم أن يصبح الفلم راكماً وساجداً لتسطير مناقبه وبره . من سعى فاضحى سعيه للحمد متمدماً . ودعا الى جماعته فاجاب من كان منجداً ومتهماً . وما بدت يد في المكرمات الا كان لها زنداً ومعصماً . ولا استباح بسيفه حمى وغى . الا اضرم منه ناراً وأجرى دماً . ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركنى شرفه الله وأعلاه . ذكره الديوان العزيز المستنصري اعز

الله سلطانه تنويعها بشريف قدره . واعترافا بصنيعه الذي تنفذ
العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره . وكيف لا وقد اقام الدولة العباسية
بعد أن أقعدتها زمانة الزمان . وأذهبت ما كان لها من محاسن
واحسان . وعتب دهرها المضيء لها فاعتب . وارضى عنها زمنها
وقد كان صال عليها صولة مغضب . فاعاد لها سلما بعد أن كان عليها
حربا . وصرف اليها اهتمامه فرجع كل متضايق من امورها واسعا
رحبا . ومنح امير المؤمنين عند التدوم عليه حنواً وعظماً . واطهر
من الولاء رغبة في ثواب الله ما لا يخفى . وابدى من الاهتمام بامر
الشريعة والبيعة أمراً لو رامه غيره لامتنع عليه . ولو تمسك بحبله
متمسك لا تقطع به قبل وصوله اليه . ولكن الله ادخر هذه الحسنة
ليثقل بها ميزان ثوابه . ويخفف بها يوم القيامة حسابه . والسعيد
من خفف من حسابه . فهذه منتهية أنى الله الا أن يخلدها في صحيفة
صنمه . ومكرمة تضمنت لهذا البيت الشريف لجمه . بعد ان
حصل الاياس من جمعه . وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع .
ويعترف انه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع . وقد قلدك الديار
المصرية والبلاط الشامية . والديار البكرية والحجازية واليمنية
والفراية . وما يتجدد من الفتوحات غوراً ونجداً . وفوض امر
جندها ورعاياها اليك حتى اصبحت بالمكارم فرداً . ولا جعل منها
بلداً من البلاد ولا حصناً من الحصون يستثنى . ولا جهة من
الجهات تعد في الاعلى ولا في الادنى فلاحظ امور الامة فقد
اصبحت لها حاملا . وخلص نفسك من التبعات اليوم ففي غد تكون
مسؤولا لا سائلا . ودع الاغترار بامر الدنيا فما نال احد منها طائلا .
وما رآها أحد بعين الحق الا رآها حائلا زائلا . فالسعيد من قطع

منها آماله الموصولة . وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمة غير التقوى
مردودة لامقبولة . وبسط يدك بالاحسان والعدل فقد امر الله بالعدل
وحدث على الاحسان . وكفر به عن المرء ذنوبا كتبت عليه واناما .
وجمل يوما واحداً منها كمباداة العابد ستين عاما . وما سلك احد
سبيل العدل الا واجتني ثماره من الافنان . ورجع الامر بعد بعد
تداعي اركانه وهو مشيد الاركان . وتحصن به حوادث زمانه .
والسعيد من تحصن من حوادث الزمان . وكانت ايامه في الايام
ابهى من الاعياد . واحلى من العقود اذا حلى بها عاطل الاجياد .
وهذه الاقاليم المنوطة بك محتاج الى نواب وحكام . واصحاب رأي
من اصحاب السيوف والاقلام . فاذا استعنت باحد منهم في امورك
فنقب عليه تنقيبا . واسأل عن احواله ففي يوم النيام تكون عنه
مسؤولا وبما اجترم مطلوبوا . ولا تول منهم الا من تكون مساعيه
حسنيات لك لا ذنوبا . وامرهم بالانابة في الامور والرفق . ومخالفة
لهوى اذا ظهرت ادلة الحق . وان يقابلوا الضمفاء في حوائجهم
بالمغر الباسم والوجه الطلق . وأن لا يعاملوا أحداً على الاحسان
والاساءة الا بما يستحق . وان يكونوا لمن تحت ايديهم من الرعايا
اخرا . وأن يوسعهم برأ واحسانا . وأن لا يستحلوا حرمانهم اذا
استحل الزمان لهم حرمانا . فالمسلم أخ المسلم ولو كان اميراً عليه
وسلطانا . والسعيد من نسج ولاته في الخير على منوائه . واستسنوا
بسنته في تصرفاته واحواله . وتحملوا عنه ما تعجز قدرته عن حمل
أثقاله . ومما يؤمر به أن يحو ما أحدث من سيئ السنن .
وجدد من المظالم التي هي من أعظم المحن . وأن يشتري بابطالها
المحامد رخيصة باغلى ثمن . ومهما جبي بها من الاموال فانما هي باقية

في الذمم حاصلة . واجياد الخزائن وان أضحت بها حالية فانما هي على الحقيقة منها عاطلة . وهل أشقى ممن احتجب أنماً . واكتسب بالمساعي الذميمة زماً . وجعل السواد الاعظم له يوم القيامة خصماً . وتحمل ظلم الناس في ما صدر عنه من أعماله وقد خاب من حمل ظلماً . وحقيق بالمقام الشريف المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني أن تكون ظلمات الانام مردودة بعده . وعزائمته تخفف ثقلها لا طاقة له بحمله . فقد أضحى على الاحسان قائدا . وصنعت له الايام ما لم تصنعه لغيره ممن تقدم من الملوك ان جاء اخرا . فاجد الله على ان وصل الى جانبك امام هدى اوجب لك مزية التعظيم . ونبه الخلائق على ما افضل الله به من هذا الفضل العظيم . وهذه امور يجب أن تلاحظ وترعى . وان يوالى عليها حمد الله . فان الحمد يجب عليها عقلا وشرعا . وقد تبين انك صرت في الامور أصلا وصار غيرك فرعا . ومما يجب ايضاً تقديم ذكره أمر الجهاد الذي اضحى على الامة فرضاً . وهو العمل الذي يرجع به مسود الصحائف مبيضا . وقد وعد الله المجاهدين بالاجر العظيم . وأعد لهم عنده المقام الكريم . وبك صان الله حمى الاسلام من أن يبتذل . ويعزملك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول . وسيفك أثر في قلوب الكافرين قروحا لا تندمل . وبك يرجى أن يرجع من الخلافة ما كان عليه في الايام الأول . فايقظ لنصرة الاسلام جفنأ ما كان غافياً ولا هاجماً . وكن في مجاهدة أعداء الله اماماً متبوعاً لا تابعاً . هداك الله الى مناهج الحق وما زلت مهتديا اليها والزمك المرشد ولا تحتاج الى تنبيه عليها . والله مدك باسباب نصره . ويوزعك شكر نعمه . فان النعمة تستتم بشكره

خطبة ابن الزكي

لما فتح صلاح الدين الايوبي بيت المقدس في سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٩ م) وكان قد مضى عليها نحو قرن وهي في ايدي الاوربيين اهتز العالم الاسلامي باجمعه . ورحل كثير من العلماء وذوي الواجهة في البلاد الاسلامية لرؤية الاحتفال بفتحها ودخولها في طاعة صلاح الدين

واختار صلاح الدين الخطبة يوم الجمعة الاول من فتح المدينة القاضي محي الدين محمد بن علي المعروف بابن الزكي غارت في المنبر والى هذه الخطبة التاريخية بين حشد من مسلمي جميع الاقطار العربية (وكأت ولادته في ٥٥٠ هـ ووفاته في ٥٩٨ هـ بدمشق) . ونحن ننشر هذه الخطبة على غلو صاحبها في التعصب لكي يدرك القارئ منها ذهنية الناس في ذلك العهد وكيف كانوا يتظاهرون من أجل الدين - والدين لا يدعو الا الى التسامح . قال :

الحمد لله معز الاسلام بنصره . ومذل الشرك بتهره . ومصرف الامور بامرته . ومديم النعم بشكره . ومستدرج الكفار بمكره . الذي قدر الأيام دولاً بمدله . وجعل الماقبة للمتقين بفضله . وافاء على عباده من ظله . وأظهر دينه على الدين كله . الناهر فوق عباده فلا يمانع . والظاهر على خليفته فلا ينازع . والامر بما يشاء فلا يراجع . والحاكم بما يريد فما يدافع . احمده على اظفاره واطهاره واعزازه لأوليائه . ونصره لأنصاره . وتطهير بيته المقدس من ادناس الشرك وأوضاره . حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره . وأشهد أن لا اله الا الله وحده . لا شريك له الا أحد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد . شهادة من طهر بالتوحيد قلبه . وارضى به ربه . وأشهد ان محمداً عبده ورسوله . رافع الشك ومدحض الشرك وماحق الأفك . الذي اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . وعرج به منه

الى السموات العلى الى سدرۃ المنتهى . عندها جنة المأوى ما زاغ
 البصر وما طغى . صلى الله عليه وعلى خليفته ابي بكر الصديق
 السابق الى الايمان . وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اول من رفع
 عن هذا البيت شعار الصليبان . وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان
 ذي النورين جامع القرآن . وعلى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب
 منزل الشرك ومكسر الأوثان وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان .
 ايها الناس . ابشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة
 العليا لما يسره الله على ايديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة
 الضالة . وردها الى مقرها من الاسلام . بعد ابتذالها في ايدي
 المشركين قريباً من مائة عام . وتطهير هذا البيت الذي اذن الله ان
 يرفع ويذكر فيه اسمه . واماطة الشرك عن طرئه . بمد ان امتد
 عليها رواقه واستقر فيها رسمه . ورفع قواعده بالتوحيد . فانه بنى
 عليه وشيد بنيانه بالتمجيد . فانه اسس على التقوى من خلقه ومن
 بين يديه . فنهز موطئ ايكم ابراهيم . ومعراج نبيكم محمد عليه السلام
 وقبلتكم التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الاسلام . وهو مقر الانبياء
 ومقصد الأولياء ومدفن الرسل ومهبط الوحي . ومنزل به ينزل
 الأمر والنهي . وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر . وهو في الأرض
 المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين . وهو المسجد الذي صلى
 فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين . وهو البلد
 الذي بوث اليه الله عبده ورسوله وكلمته التي القاها الى مريم .
 وروحه عيسى الذي كرمه برسالاته . وشرفه بنبوته ولم بزحزحه عن
 رتبة عبوديته . فقال تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله
 ولا الملائكة المقربون . كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً .

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض . سبحان الله عما يصفون . لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم (الى آخر الآيات من المائدة) . وهو أول القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين . لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا اليه . ولا تمقد الخناصر بعد الوطنين إلا عليه . فلولاً أنكم ممن اختاره الله من عباده . واصطفاه من سكان بلاده . لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار . ولا يباريكم في شرفها مبار . فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم من المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوحات العمرية والجيوش الثمانية والفتكات العلوية ما جددتم به للإسلام أيام القادسية والملاحم اليرموكية والمنازلات الخيرية والهجمات الخالدية . فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم افضل الجزاء . وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في متارعة الأعداء . وتقبل منكم ما تقر به به اليه من اهراق الدماء . وأثابكم الجنة فهي دار السعداء . فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها . وقوموا لله تعالى بواجب شكرها فله المنة عليكم بتخصيصكم لهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة . فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء . وتباجت بانواره وجوه الظلماء . وابتهج به الملائكة المقربون . وقرت به عيون الانبياء والمرسلين . فمن عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح على يديه بيت المقدس في آخر الزمان . واليوند الذي يقوم بسبوقهم بعد فترة من النبوة أعلام الايمان . فيوشك أن يفتح الله على أيديكم أمثاله . وأن تكون التهاني لأهل الخضراء أكثر من التهاني لأهل العبراء . اليس هو البيت الذي ذكره الله

في كتابه . ونص عليه في محكم خطابه . فقال تعالى سبحانه الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . اليس هو البيت الذي عظمته الملل . وأثبت عليه الرسل . وتليت فيه الكتب الاربعة المنزلة من الله عز وجل . اليس هو البيت الذي امسك الله تعالى لأجله الشمس على يوشع أن تغرب . وابعد بين خطوانها ليتيسر فتحه ويقرب . اليس هو البيت الذي أمر الله عز وجل موسى أن يامر قومه باستنقاذه . فلم يحبه الا رجلا . وغضب الله عليهم لأجله فالتام في التيه عقوبة للعصيان . فاحدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو اسرائيل . وقد فضلت على العالمين . ووفقكم لما خذل فيه امم كانت قبلكم من الأمم الماضين . وجمع لأجله كلمتكم وكانت شئ . وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى . فليهنكم ان الله قد ذكركم به في من عنده . وجعلكم بمد أن كنتم جنوداً لأهويتكم جنده . وشكر لكم الملائكة المنزلون على ما أهديتهم لهذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتجيد . وما أمطتم عن طرقهم فيه من اذى الشرك والتثليث والاعتقاد العاجز الخبيث . فالآن تستغفر لكم املاك السموات . وتصلي عليكم الصلوات المباركات . فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم . واحرسوا هذه النعمة عندكم . بتقوى الله التي من تمسك بها سلم . ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم . واحذروا من اتباع الهوى ومواقفة الردى . ورجوع الفهمقرى والنكول عن العدا . وخذوا في انهاز الفرصة وازالة ما بقي من الفصة . واجاهدوا في الله حتى جهاده . وبيعوا عباد الله انفسكم في رضاه اذ جعلكم من خير عباده . واياكم أن يستزلكم الشيطان . او يتزلخلكم

الطغيان فيخيل لكم ان هذا النصر بسيوفكم الحداد وخيولكم الجياد وبجلادكم في مواطن الجلال . لا والله ما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . فاحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل . وخصكم بنصره المبين . واعلق ايديكم بحبله المتين . ان تقترفوا كبيراً من مناهيه وان تاتوا عظيماً من معاصيه . فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكنا . وكالذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها . فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . والجهاد . الجهاد . فهو من أفضل عباداتكم واشرف عاداتكم . انصروا الله ينصركم . احفظوا الله يحفظكم . اذكروا الله يذكركم . اشكروا الله يزدكم ويشكركم . جدوا في حسم الداء وقلع شأفة الاعداء . وطهروا بقية الارض من هذه الانجاس التي اغضبت الله ورسوله . واقطعوا فروع الكفر واجتثوا اصوله . فقد نادى الايام بالثارات الاسلامية والملة المحمدية . الله اكبر . فتح الله ونصر . غلب الله وقهر . اذل الله من كفر . واعلموا رحمكم الله ان هذه فرصة فانهزوها . وفريسة فناجزوها . وغنيمة فحوزوها . ومهمة فاخرجوها لها هممكم وابرزوها وسيروا اليها سرايا عزماتكم وجهزوها . فالامور باواخرها . والمكاسب بذخاؤها . فقد اظفركم الله بهذا العدو المخدول . وهم مثلكم اوزيدون . فكيف وقد اضحى قبالة الواحد منهم منكم عشرون . وقد قال الله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . اعاننا الله واياكم على اتباع اوامره والازدجار بزواجه . وايدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده . ان ينصركم الله فلا غالب لكم . وان يخذلكم فن ذا الذي ينصركم من

بعده . ان اشرف مثال يقال في مقام . وانتذ سهام تمرق عن قسى
الكلام . وامضى قول تجل به الافهام . كلام الواحد الفرد العزيز
العلام . قال الله تعالى واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا
لعلكم ترحمون

(ثم قرأ سورة الحشر) ثم قال :

اللهم وادم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك . الشاكر لنعمتك .
المعترف بمهيبتك . سينتك التاطع وشهابك اللامع . والمحامي عن
دينك المردافع . والذاب عن حرمك المانع . السيد الأجل الملك
الناصر . جامع كلمة الايمان . وقامع عبدة الصلابان . صلاح الدنيا
والدين . سلطان الاسلام والمسلمين . مطهر البيت المقدس . ابي
المظفر يوسف بن ايوب محيي دولة امير المؤمنين . اللهم عم بدولته
البسيطة . واجمل ملائكتك براياته محيطة . واحسن عن الدين
الحنيفي جزاءه . واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاهه . اللهم ابق
الاسلام مهجته . وق للايمان حوزته . وانشر في المشارق والمغرب
دعوته . اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس . بعد ان ظنت
المنون وابتلى المؤمنون . فافتح على يديه داني الارض وقاصيها .
وملكه صياصي الكفر ونواصيها . فلا تلقاه منهم كتيبة الا مزقها .
ولا جماعة الا فرقها . ولا طائفة بعد طائفة الا احققها بمن سبها

اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه . وانتذ في المشارق
والمغرب امره ونهيه . اللهم واصلح به اوساط الناس واطرافها
وارجاء المملكة واكفافها . اللهم ذل به معاطس الكفار . وارغم
به انوف انفجار . وانشر ذوائب ملكه على الامصار . واثبت سرايا
جنوده في سبل الاقطار . اللهم اثبت الملك فيه وفي عتبه الى يوم

الدين . واحفظه في بنيه وبني ابيه الملوك الميامين . واشدد عضده
ببقائهم . واقض باعزاز أوليائه وأوليائهم . اللهم كما اجريت على
يده في الاسلام هذه الحسنة . التي تبقى على الايام . وتتخلد على مر
الشهور والاعوام . فارزقه الملك الابدي الذي لا ينفد في دار المتقين .
واجب دعاءه في قوله رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي وعلى والدي وان اعمل عملا صالحا ترضاه . وادخلي برحمتك
في عبادك الصالحين . ا هـ

خطبة لاديب اسحق

ولد اديب اسحق في سنة ١٨٥٦ وتوفي في سنة ١٨٨٥ فلم يكد يبلغ
الثلاثين من العمر . « ومن احبته الآلهة مات صغيراً » . ومن يقرأ مخططاته
الادبية يجد انه لم يكن يعيش ببطء وانما كان يسرع في العيش كأنه كان يحس
بقصر عمره فكان يقني من التجارب الذهنية - وهي كل ثروة الاديب - في
العام الواحد مالا يستطيع غيره ان يقتنيه في اعوام .

قال عنه الشيخ اسكندر العازار صديقه يصفه انه كان « راية في علم اللسان
وآية في صناعة البيان وغاية في حب الانسان . وكان فتى لا كلفتان . جريئاً في
الحق ما اخذته فيه لومة لائم وما رهب فيه وعيداً . . . عاش حر الضمير فكراً
وقولاً وعملاً . ومات حر الضمير فكراً وقولاً وعملاً . نشأ وطنياً خالها صحيحاً
وعاش جندياً لاشرف الاصول واسمى الغايات . وانفق في خدمتها من روحه
ما كان ينفخ في القلم من الروح ... كان زهرة الادب في الشام وريحانة العرب
في مصر . وكان للوطنية نصيراً وبالانسانية بشيراً ولاعدائهما نذيراً » ✓
وقد اتى الخطبة التالية في جمعية زهرة الاداب وموضوعها التعصب
والتساهل . قال :

لقد جرى لفظ التعصب على السنة اهل الانشاء العربي بمعنى
الغلو في الدين والرأى الى حد التحامل على من خالفهما بشيء في
ما يدين وما يرى . واجريت هاهنا لفظ التساهل بمعنى الاعتدال

في المذهب والمعتقد على ضد ذلك الغلو متابعة للافرنج في لفظهم المعبر
عن هذا القصد (توليرانس)

ولا اجهل ان هذين الحرفين - لفظ التعصب ولفظ التساهل -
غير وافيين بالمراد منهما اصطلاحا وان في ايلاء الاول معنى الغلو في
الدين والرأي توسعا عظيما . وفي اشراب الثاني ضد ذلك المعنى خروجا
عن الحد اللغوي . ولكن الاصطلاح حكما نافذا يسوق الالفاظ
الى المعنى الغريب فتنقاد . فاذا مرت عليها الايام . وصقلتها الالسنه
والاقلام . جاءت منطبقة عليه بلا الهام ولا ابهام

وحد التعصب عند أهل الحكمة المصرية غلو المرء في اعتقاد
الصحة بما يراه . واغراقه في استنكار ما يكون على ضد ذلك الرأي
حتى يحمله الاغراق والغلو على اقتياد الناس لرأيه بقوة ومنهم من
اظهار ما يعتقدون ذهابا مع الهوى في ادعاء الكمال لنفسه واثبات
النقص لخالفيه من سائر الخلق

وحد التساهل عندهم رضى المرء برأيه اعتقاد الصحة فيه
واحترامه لرأي الغير كائناً ما كان رجوعاً الى معاملة الناس بما يريد
ان ياملوه فهو على اثباته الصواب لما يراه لا يتقطع بلزوم الخطأ
في رأي سواء . وعلى رغبته في تطرق رايه للاذهان . لا يمنع الناس
من اظهار ما يعتقدون

فمن تبين هذين الحدين وكان بصيراً سليم العقل طليق الذهن من
أسار الوهم حار لا شك في كثرة ما يراه من أهل التعصب على قلة من
يمر به من التساهلين . وعجب وحق له العجب من بني نوعه كيف
يدخلهم التعصب في ما يعتقدون وما يرون . وقد عجزت افهامهم
عن ادراك الكثير من اسرار هذا الوجود . وقام لهم في كل حركة

وكل سكنة من أفكارهم دليل على امتناع الكمال على الانسان
وكان لهم في تعصب الاولين عبرة لو كانوا يعتبرون

الم يروا كيف تعاقبت المذاهب وتوالت الاراء . وتتابعتم
قضايا العلوم الانسانية معذودة في عصورها من الحقائق وفي ما يلي
تلك العصور من الاوهام . ولا اذكر العقائد الدينية متسلسلة من
بوذا الى زرادشت الى كوثفوشيوس الى سائر دعاة الدين كراهة أن
يتوهم في قصدها بالذات . بل حسبي الاشارة الى تعاقب الوهم
والحقيقة والخطأ والصواب في قضايا العلم عبرة للمتعصبين

ألم يكن القول بسكون هاته الارض قضية مسلمة . وبدوران
الشمس من حولها حقيقة معلومة . وبانتساق البسيطة سبعة أقاليم
علماء يقينا . أو لم يكن طب ابتراط الهاما . وفلسفة أرسطو ليس
كشفا . وتعبير ابن سيرين حتما . فاذا تقول عن الذين تعصبا لهاته
الاهوام على من كان في ريب منها فلزموه الصمت والخسف .
وعاملوه بالشدّة والعنف . حرصاً على ما يتوهمون من الحق والحق
بريء منهم لو يعلمون ؟

ولقد رجعت الى المحفوظ من أخبار الامم حتى بلغت الحد
الذي يدخل التاريخ منه في ظلمات الريب والخفاء . فما مر بي
جيل من الناس . ولا حقبة من الزمان . الا رأيت من اثار التعصب في
الدين والراي ما يتقبض له الصدر استنكافا . وتثور منه النفس
استنكاراً . ثم عدت الى العطرة الانسانية لاستكشاف العواطف
الطبيعية . فرأيت فيها من السذاجة والسلامة ما يتعجب على حكم
التساهل من كل الوجوه . فعلمت أن التعصب على قدم وجوده
حادث طارئ على الانسان . تولد عن مفاصد الرياسة في الجماعات .

وتاصل بالمادة والتقليد حتى صار في النفوس من الملكات . يظهر ذلك لمن تدبر قدم التعصب في جنب خروجه عن الطباع . ويعلمه من تأمل احوال الرياسة في صدور هيئات الاجتماع .
 - وادلي اوجزت واجملت والامر محتاج الى الايضاح والتفصيل .
 فاقول :

قد اجتمعت آراء المفكرين على ان الرياسة قد حصلت بدأة بدء للمتمولين او الاقوياء وفي الحالين لم يأمن الرؤساء على سطوتهم ان تزول بنقد الثروة او انحطاط القوة . فالنفس النبهاء منهم تاييدها تا لا تؤثر فيه النوازل ولا يضعفه كرور الايام . فوضعوا للجماعات احكاماً ، كل رئيس وما يوهم فيه المصلحة او ما رأى ميل قومه اليه . فرضى كل اناس مشرهم . وقالوا : هذا هو الحق الذي لا ريب فيه . وقال غيرهم من الاقوال : بل الحق ما نحن عليه فانتم في ضلال مبين . فوقمت بينهم الاحن . وشبت اعقابهم على العداوات . حتى قويت روابط الاوهام . فتقطعت صلات الارحام . فصار من التضييلة ان يقتل الانسان اخاه ان خالفه في ما يراه . وامتلات رؤوس الخلق عناداً . فملاوا الارض فسادا . فعدت المظالم عدلا وسميت المذامح جهادا

ولا احول استيعاب المفاسد والنوائب التي نشأت عن التعصب في الدين والرأي . فذلك تاريخ الحروب والتفن والغارات والمهاجرات من صدر الاجتماع الانساني الى الماية السالفة في بلاد الغرب والى هذه الايام في بلاد الشرق . بل الغرب على انتشار

المعلوم فيه وحصول الحرية لاكثر ساكنيه لم يخل الى الآن من آثار ذلك الداء العياء

نعم . لا نرى فيه الآن افراداً وجماعات من الناس يذوقون الوان العذاب ثم يقتلون صبراً شهداء ما يعبدون كما وقع لأهل النصرانية في دولة الرومان . ولا نجد ألوفاً من السكان المستأمنين يخرجون من ارضهم بالتوبة او تهدر دماءهم لاستمساكهم بما كان يعبد آباؤهم كما جرى لليهود في اسبانيا . ولا نبصر ديوان عتاب ونفمة يحكم بالتشهير والحرق والتعذيب والموت على من اهمم بالشك في رواية المجازيب عن بعض النساء عن بعض الاطفال كما كان ديوان التفتيش في كثير من ممالك الافرنج . ولا نلقى مئات الوف من نهاء الخلق الامناء الصادقين يبيتون في منازلهم ويؤخذون بالسيف تقتيلاً لمجرد انهم يفهمون من آي الكتاب خلاف ما يفهم غيرهم من الناس كما حل بالبروتستانت عام ١٥٧٢ في بلاد الفرنسيس . ولا نجد ايضاً جماعات من الخلق لا يستطيعون النطق بما يعتقدون ولا الظهور بما يعبدون . ولا افراداً من الجماعة يعاقبون بالسجن او التجميد لأهم يأكلون البان حيوانهم ، في زوايا اكواخهم ، يوم يأكل ساداتهم الوان الأسمك الشبية . ويشربون معنقة الخمر في غرف التصور

نعم . لا نرى كل ذلك في الغرب الآن ولا فكاد نبصره في الكثير من اقطاره ماخوذاً بما اوضح من رايه وما اشاع من مذهبه وان خالف رأي الاكثرين . ولكن هذا التساهل في الهيئات . ارسخ منه في الافراد الا الذين تطهروا من ادران التقليد وسلموا من علل الاوهام . وغالبوا الملكات الخاصة عن العادات وترفعوا

الى مقام السذاجة الأعلى وقليل من هم
والا فما هذا الذي نراه من التحامل على بقايا آل اسرائيل
في بلاد الروس والامان . وما ذلك الذي مربنا من مظاهر الاحن
بين الكاثوليك وغيرهم في تلك البلاد . وماذا الذي نسمع به الآن
من الخلاف والشقاق بين الشيع المتباينة في فرنسا وايطاليا
وبلجيكا وغيرها من اعرق البلاد في اتساعها وحرية
ألا أقص عليكم اخواني شيئاً مما تبين من محاكمة المتهمين
بالفتنة التي جرت منذ شهرين في بلدة منسولين بوطن الفرنسيين :
تبين من تلك المحاكمة ان اصحاب المعدن في تلك البلدة (والبلدة
عبارة عن المعدن والعاملين فيه) كانوا اذا رأوا من احد الفعلة فتوراً
في العبادة ، او ضعفاً في العقيدة التي يعتقدون ، ضربوا عليه الغرامة
اجرة يوم اويوهين وما فوق . واذا ظهر عليه انحلال العقيدة
طردوه من المعمل رأساً أي حكموا عليه بالفاقة وعلى عياله بالجوع .
واذا مات ذلك المنحل العقيدة فشيعة صاحب له من رزق ، اتعابه
الى الفبر . عاقبوا المشيع بمثل هذا العقاب وهم هم في البلد الذي
افتدى أهله بدمائهم حربة السعي وحرية الرأي وحرية القول .
فما الظن بغيرهم من اهل سائر الافطار . وما الظن بنا نحن الذين
كان من نعم الله علينا ان وجدت بلادنا المتمدسة مهبطاً للوحي
ومقاماً للعقائد الدينية من عهد موسى صلوات الله عليه الى
هذه الايام

بل ما الظن بنا ونحن احرص الناس على تعاليم السلف الكرام
في ما لا يمس جانب النفع الأدبي ولا يتصل بطرف الفائدة الحسية
حتى ان مغارف علمائنا في هذه الحقبة لتشاكل باخرف معارف

آبائهم من ثلاثمائة عام وتنحط بالضعف عما كانت عليه معارفهم من
الف عام . وما التلن بنا ومثل متكلماً بهذا الموضوع في مثل هاه
الجمعية الزاهرة ، يخاف معاذ الله ان لا يجد لديكم استحياساً .
لا جرم انا أسعد خلق الله في أسعد بلاد الله . فالحمد لله ثم الحمد لله
وقد سبق القول في حد التسهل انه رضى المرء برأيه اعتقاد
الصحة فيه مع احترامه لرأي سواه . وهذا وان كان من الواجبات
البدئية . والقضايا المسلمة عند ذوي العرفان . الا انه لسوء الحظ
كثيره من سائر الواجبات ترشد الحكمة اليه . ولكن تغلب الشهوة
عليه . حتى لا يكاد يوجد في الانسان الا عند العجز عن مجاوزة
حده . لمجاورة ضده . فهو كالحربة يشاققها الانسان مرئوساً .
وينكرها رئيساً . وكالزهادة يتبها سقيماً وينبذها معافى سليماً .
فلا يثبت على تغير الاحوال الا عند ذوي النفوس المكرمة
والطباع القوية وما هم بكثير

فلكم رأينا من فئة مستضعفين يطلعون التسهل ويدعون اليه
بكل لسان يثبتون له الوجود من كل الوجوه . فلما أن قامت
دولتهم . وقويت شوكتهم . وحصار اليهم الامر والقوة . كانوا من
الغلاة المتعصبين . وهذه توارى بفخ العفائد الدينية والمذاهب الفلسفية
والطرائق السياسية في ما تعاقب عاينها من القوة والضعف والقبول
والرفض شاهدة بصحة ما أقول . لا يتف النظر على صفحة منها
الا رأى التسهل في ضعفه . متعصباً يوم قوته . والمتلاين في حال
خسفه . متشدداً في دولته . ولذلك لم يرض الحكماء من التسهل
بان يكون صادراً من اللسان مراعاة لاحكام الضرورة او من
عاطفة القلب ميلاً الى المعاملة بالاحسان بل اوجبوا فيه الاعتقاد

بتحتمه على الانسان علما منهم بانه يكون في الحالة الاولى متعلق
الوجود ببقاء تلك الضرورة . والضرورات قابلة الزوال . وفي الحالة
الثانية يتوقف البقاء على وجود تلك العاطفة والعواطف لا تستمر
على حال . ومثل هذا الواجب الادبي الحق لا ينبغي أن يناط بهاه
الأسباب الواهية . وتلك العرى التريية الانحلال . وانما اللازم
فيه تقييده بمبدأ متين من الحق . ونأيد بهامد مكين من اليقين .
بحيث يعلم مع مخالفيه في ما يظهرون من آراءهم . وما يعلنون من
مذاهبهم . انه لا بفعل ذلك رهبة منهم ان كانوا أقوياء . ولا شفقة
عليهم ان كانوا ضعفاء . ولكن فيا ما بواجب من العدل والحق
قال احد كتاب الفرنسيس في هذا الموضوع ما معناه :

« وجب النسا هل على الانسان من ثلاث جهات : من جهة
نفسه . ومن جهة ابنا جنسه . ومن جهة الحقيقة — والحقيقة هي
الله »

فما من جهة النفس فلا أنه من واجباتنا الأدبية الناس العلم
والحكمة في أي وءاء خرجا . واصلاح ما عسانا ان نكون عليه
من اخطأ . وكيف يحصل لنا ذلك ان سدنا أفواه الناطفين ظلما
واستبداداً . ولم نسمع ما يقولون لننظر في أقوالهم . فثم آراءنا
بارأهم . قال فيكتور هيكو .

كل انسان كتاب يكتب الله سطور
ويقول العاجز :

وكذا البحث زناد قاذح للحق نوره
كيف لا وفي اقوال أحقر الناس وآراء اصغر الخلق عبرة
وفائدة وعلم جديد للمتاملين

واما وجوب التساهل على الانسان من جهة حق الناس عليه فلان العدل الموجب للتكافؤ يلزمه بقبول ما يريد ان يقبله الناس منه سواء ولما كان اول واجباته الأدبية الناس الحق والصواب . وثانيها ايضاح ذلك الحق بالاقوال والاعمال كان من الظلم القبيح ان يمنع غيره من ابداء ما يظنه ذلك الغير صحيحا . ومن العسف المنكر ان يشوش عليه ما يلمس من الحق بالاغتصاب او الارهاب للمانعين من التفكير

وأما وجوب التساهل من الجهة الثالثة جهة الحقيقة الخالصة . فقد اثبتته العقل ولم تنفقه نصوص الأديان بل أيدته في مواضع لا تعد . قال ترتليانوس الكلامي : « ليس من البر ولا التتموى أن تسلب حرية الناس في أمور الدين فان الله سبحانه وتعالى دمه عن أن يربد ان يبرد اضطراراً »

وقال بوسيتيانوس القديس : « أشد ما يخالف الدين نكراً ان يحمل الناس عليه قهراً »

وفي : « لكم دينكم ولي دين » وفي : « لا تجادلوهم الا بانتي هي أحسن » بلاغ للمتبعين

✓ فالذين يلتمسون الزاني الى الله بالوعيد والتهويل . والذين لا يريدون ان يعبد الا كما يريدون . والذين يحاولون رسم آرائهم في القلوب والجباه بالحديد والنار . كل هؤلاء يفضبون الله ويكفرون بالحق ولا يشعرون . فان الحقيقة ليست باجنبية ولا بعدوة لتأتي على كاهل المرء الزاماً . وانما نحن ضيوفها بالطبع فهي تقبل علمنا وتقف لدينا لنطلبها عن رضى راغبين

وقال شيشرون خطيب الرومان : « انما نكون عبيد القانون لنصير بالقانون أحراراً »

وفي الحديث المأثور : « كن للحق عبداً فبعد الحق حر » وقول ذلك الخطيب الروماني ينطبق على ما نحن بصددده . فيقال فيه : يجب أن نكون أحراراً لنخدم الحق كما يجب والحق هو الله وهذا دعاء المتساهلين نجمله للمقام ختاماً : يا بديع الصفات . الله جميع الموجودات . ما عرفناك حق معرفتك . ولا اهتدينا بضيائك لحكمتك . ألهمنا في أمورنا رشدًا . واسلك بنا سبيل الهدى . لتعاون على احتمال النوائب الكثيرة . في هاهنا الحياة القصيرة . ونعلم ان الخلاف الذي بين وقاء اجسامنا الضعيفة . وبين لغتنا الماصرة . وبين عادتنا السخيفة . وبين أحكامنا الناقصة . وبين احوالنا المتباينة . في ما نراء على استوائها لديك . ان جميع هاته الاميزات بين هاهنا الذرات . لا تكون من اسباب الاحن والعداوات . فتستوي عبادتك برطانة من لسان قديم مهجور . وبغيرها من لسان جديد مشهور . ولا يميز بين من يوقد الشمع نهراً لدعائك . ومن يكتفي فيه بضياء سماءك . وبين من يلبس لذلك الذهب والحرير . ومن يستقبل سمالك باطمار انفقير . ويكون الذين ملكت ايمانهم قطعاً مدورة من بعض المعادن متمتعين بلا تيه بما يسمونه زبما . والذين استولوا على نفقة حقيرة من بئمة صغيرة منتفعين بلا كبر بما يحسبون ملكاً مقبلاً . ويكون سائر الناس راضين بالموجود . غير حاسدين على المفقود . ويدكر ابناء الانسان انهم في الانسانية اخوان . فلا يمزق بعضهم بعضاً عناداً . ولا يملأون الارض فساداً . تجليلاً لك عما يقول الجاهلون .

وتغزيبها لك عما يزعم المتعصبون . انك اعظم من أن تغضب . وأعز
من أن ترضى . وأكرم من أن تغفو . واكبر من أن تسر . وأجل
من أن تساد . نمائلت لديك الذوات وتساوت عندك الاشياء .
وانت في الكل وللكل سواء . وقنا العثرة مع المتعصبين . واحشراً
في زمرة المتساهلين . امين

خطبة لمصطفى كامل

لما خدمت الحركة العربية وخنق أنفاسها الانجليز سادت البلاد المصرية فترة
من انحول السياسي حتى قيضت الاقدار لمصطفى كامل ان ينبه الامة . فسنخدم
لسانه وقلمه وماله في سبيل ايقاظ الامة . فكان خطيباً وصحفيّاً ومؤلفاً
ومؤسساً للمدارس . ومات في شبابه لانه لم يعش بهذا الشباب في خدمة مصر
وكانت حياته موزعة بين جهدين : تحريك المصريين الى مناهضة الانجيز
المحتلين لوطهم والمطالبة بالاستقلال . وتحريك الامم الاجنبية الى ادراك مقدار
العسف الذي ينزله الانجليز ببلاد مصر

فكان يحطّب في القاهرة وباريس . وله رسائل تنشر في الاسكندرية
وبرلين . وكان له صحف تدافع عن قضيتنا بالعربية واخرى تحول ايقاظ ضمير
الامة المحتة بالانكليزية

فلئن فخرت ايطاليا بغيريالدي وتباهت المجر بكوشوت فلهم نحن
بمصطفى كامل

خطب في الاسكندرية في سنة ١٨٩٧ فقال :

سادني وأبناء وطني الاعزاء

اي بنفؤاد ملؤه الفرح والسرور أقف الليلة أمامكم متكلماً عن
شؤون الوطن المحبوب ومصالحه . واني لأقابل انعطافكم نحو
اضعف خدمة البلاد بمزيد الحمد والشكران . واستمحيكم العفو
اذا قصرت في أداء هذا الواجب . فاني انما اسر بهذا الانعطاف
وبهذه المظاهرات . لالأنها موجهة لشخصي الضعيف بل لأننا

أكبر دليل علني على حياة الشعب المصري . وأقوى حجة تكذب دعوى التائلين بان مصر وطن لا وجود للوطنية فيه . وان ابتناء وادي النيل يقدمون بانفسهم الى ألد أعدائهم وطنهم واقدس ميراث لا بائهم واجدادهم

أجل . ايها السادة . اسمك باجتماعكم اليوم هذا الاجتماع الوطني ترفمون كثيرا من مقام الوطنية المصرية وتخففون من آلام مصر انعززة التي قاست ونقاسي أشد العذاب على مشهد منكم يا اعز بنينا ويا نخبة أجبابا . فكل اجتماع وطني تذكر فيه مصر ويطالب بحقوقها ويعلن أبنائها اخلاصهم لها هو في الحقيقة مرهم جراحها ودواء لدائها . فذكروها ما استطعتم . فان في ذكرها ذكرى الامها وذكورى الآلام يجر حتما الى ذكر عوامل الشقاء . اذكروها كما يذكر الولد الحنون امه الشفيقة وهي على سرير المرض والعناء . اذكروها بالامها وان كان غيركم يذكر بلاده بمجدها ورفعة شأنها . اذكروها فانكم ما دمتم مقدرين لمصائبها عاردين بحقيقة الامها دام الامل وطيدا في سلامتها ودام الرجاء . اذكروها فمن المستحيل ان يرى العاقل النار في داره والداء في شخص امه ويهمل النار ويهمل الداء . ومن المستحيل كذلك أن يكون الوطن في خطر ونحن نيام . وأن يعمل الاجنبي لامتلاك بلادنا وسلب حياتنا بل لاستعبادنا واسترقاقنا ونحن جامدون لا عمل ولا حراك

القوا أيها السادة بانظاركم قليلا الى الامم الحرة تجدوا كل فرد فيها يدافع عن وطنه ويزود عن حوض بلاده أكثر من دفاعه عن امه وامه بل هو يرضاهما ضحية للوطن ويرضى نفسه قبلهما قربانا يقدمها لاعلاء شأن بلاده . ويعد الموت لأجل الوطن حياة دونها

الحياة البشرية ووجوداً دونه كل وجود . فلم لا يكون المصري على هذا الطراز ووطنه أجمل الاوطان وأحقها بمثل هذه المحبة الشريفة الطاهرة

اسالوا التاريخ أيها السادة ما واجب أمة دخل الانجليز ديارها مخدعة وعملوا لامتلاكها وسلمها كل سلطة وكل قوة . يجبكم التاريخ ان واجب أمة هذا شأنها أن تعمل بكل ما في استطاعتها ضد مغتصبها وأن تبذل في سبيل خلاص وطنها كل ما تمتلك من مال ورجال

اجل . كل احتلال أجنبي هو عار على الوطن وذيته . والعار واجب أن يزول . ولست أقصد بهذا الكلام أن أسألكم باسم الوطن اعلان ثورة دموية ضد محتل البلاد . كلام كلا . ان أقل الناس ادراكا لمصلحة مصر يعلم علم اليقين انها منافية لكل ثورة وكل هيجان . وانما أسألكم أن تعملوا بكل الوسائل السلمية على استرداد الحقوق المسلوقة منكم وأن تعملوا لأن تحكم البلاد بآبئها البلاد . نتم ابي أعلم ان الاحتلال قوي السلطة عظيم الرهبة شديد العقاب . وان العمل ضده موجب للذباب مسبب للفقر والفاقة . ولكن في الرضى بالاحتلال الخيانة والعار . وفي العمل ضد الاحتلال الشرف والفخار

س فياذوي النفوس الابية وياذوي الضمائر الحية . اطلبوا الشرف ولو مع القمطر . اخدموا الوطن ولو أسقطت على رؤسكم الصواعق . كونوا مع مصر ان سعيدة فسمداء وان تعيسة فتعساء . قولوا لعدوها في وجهه : أنت عدو لنا . ولصديقها : انت صديق لنا . لا تحبوا

من يرميها بنبال الموت بل امنموه عنها ان قدرتم . ثم ردها في صدر راميها ان استطعتم . وان لم تستطيعوا فكونوا معها لا مع المعتدين

وان لمصر غير المحتلين أعداء آخرين هم آلات الاحتلال . آلات الفساد . فان ذكركم الاعداء فاذكروا الخونة فيهم ألد الاعداء . وأي الاعداء هم . أولئك الذين انكروا الوطن والوطنية . واثمنوا على مصالح الأمة فعرضوا بها للدمار . أولئك الذين أبرتهم مصر فقابلوا برها بالسوء وصاروا اليوم في ايدي المحتلين ضد الوطن العزيز . آلات الدمار . آلات الخراب . أولئك الذين كلما صعدوا درجا من درجات المناصب نزلت نفوسهم دركا وفتقدوا نصيباً من الشرف وسمو الاحساس . أولئك الذين يبيعون الوطن على مشاهد من الامم ويسيرون بين الناس حاملين لواء الخيانة والعار . أولئك الذين اذا مد اليهم الوطن بد الاستغاثه مدوا اليه سيوفاً ليقطعوا بها يده الشريفة هؤلاء هم الخونة وهم أشد الاعداء ضرراً . ويعلم الله ان الدم الذي يجري في عروقهم هو دم فاسد ليس بالدم المصري الصادق . وانهم مهما ذاقوا من لذة الحياة الظاهرية فسينالهم العقاب اقمى العقاب ولو من أنفسهم متى حاسبوا ضمائرهم . نعم سيماقب الخائنون على خيانتهم . فكم رأينا في التاريخ رجالا خاوا اوطانهم وساعدوا الاعداء على امتلاك بلادهم . فعوقبوا على خيانتهم لا من ابناء وطنهم فقط بل من نفس الاعداء الذين خدموهم وساعدوهم . هذه سنة الله في خلقه . يقتل القتاتل عقاباً على عمله . فكيف بمن يعتدي على امة باسرها بالخيانة ويمتدي عليها بالسلاح الذي سلمته اياه ليدافع به عنها

نعم سيعاقب الخائنون وسيحمل ابناؤهم من بعدهم علم الخيانة على رؤوسهم وسيبقون في التاريخ مثلاً كبيراً للابناء والاعقاب وان ذكركم الاعداء فازكروا المنافقين . فهم خونة تفننوا في أساليب الخيانة يظهرون امامكم بمظهر المخلصين وهم يدبرون مع الاعداء المكائد والدسائس . فهم ذوو وجوهين وذوو لسانين فحاذروهم واعلنوا أمرهم ليخيب مسعاهم ونحبط أعمالهم

... أيها السادة . أعداء الوطن عديدون . ومصائب الوطن عديدة . وبديهي ان ازدياد الاعداء يزيد من واجبات الوطنيين المخلصين لبلادهم . فلا تظهر الوطنية الحققة الا في اوقات الخطر ولا تعرف الهمم العالية الا عند المصائب . وغني عن البيان ان الأمة بأسرها كارهة للاحتلال . راغبة في الجلاء والحرية وقد أظهرت هذه الرغبة في ظروف عديدة وجاهرت بها حيناً بعد حين . الا انها كسائر الأمم في حاجة لأن يرشدها ابناؤها المتعلمون ورجالها الخيرون . ويسرفي كما يسر كل مصري صادق ان الناشئة المصرية عارفة بواجباتها نحو الوطن العزيز . فهم أبناء الوطن وهم رجال المستقبل وبهم تحيا البلاد وبهم تنوم

ولكن هناك فئة من المصريين لا أنكر اخلاص رجالها للوطن العزيز . ولكن أنكر عليهم الياس الذي يتظاهرون به في كل وقت وفي كل مكان . فهم ما عملوا ولا يعملون للبلاد عملاً نافعا ولكنهم جعلوا اليأس علة عدم العمل وعلة الكسل . فان سألتهم : لم لا تقومون بعمل عمومي نافع للبلاد . أجابوك : نحن يائسون من مستقبل الوطن معتقدون بظلمة الايام الآتية

فبالله كيف يستطيع طيب أن يحكم على عليل بعدم الشفاء

قبل أن يفحص داءه ويعطيه الدواء . على اننا نرى الكثير من
الاطباء لا ييأس أبداً من شفاء المريض حتى في آخر لحظة من
حياته . فكيف ييأس رجال من بني مصر من مستقبل البلاد .
وهم وان كانوا قد خروا داء مصر فيعلم الله ويعلم الناس انهم الى
اليوم ما قدموا لها الدواء . كيف ييأس من المستقبل والمستقبل
بيد الله وحده . وكثيراً ما تأتي الحوادث بخلاف المستظر وبغير
حساب . ألم يكن الكثير من المصريين ومن غير المصريين في يأس
من مستقبل الدولة العلمية وبعثقدون انها على مقربة من الموت .
فها هي اليوم قد ساعدتها الحوادث التي سانها الأعداء مؤملين
البطش بها . فتغيرت مظاهر العمرة والحياء . واصبحهم جميعاً فرحين
بسلامتها معتقدين حسن مستقبلها

كيف ييأس من المستقبل وقد أراما التاريخ أما حكمها
الأجانب قروناً طويلة ثم قامت بعد الذل والاسترقاق مطالبة
بحقوقها وأخرجت الأعداء من ديارها واستردت حقوقها وحررتها
هي النفوس الصغيرة التي يخلق عندها الأمل بكلمة او بتلغراف .
ثم يستولى عليها اليأس بكلمة او بتلغراف . أما النفوس العالية
الكبيرة فيدوم فيها الأمل ما دام الدم في العروق وما دامت الحياة
وأى حياة ترضاها النفوس الشريفة مع اليأس . أجمع المرء
في جسم واحد الموت والحياة . اذ اليأس موت حقيقي وأى موت
كيف ييأس ونحن جميعاً عالمون بأن ما يظهر طويلاً في حياة
الافراد هو قصير في حياة الشعوب . فعشر من السنوات في حياة
الانسان طويلة حقاً ولكنها في حياة الأمة قصيرة جداً . على انه
إذا كان اليائسين معتقدين صحة افكارهم فعار عليهم أن يقوموا في

الامة بوظيفة تثبيط هم الآملين . والآملون في البلاد كثير ون بل .
الامة كلها مؤملة خيراً في المستقبل وان لم تظهر الى الآن أعمال .
الآملين فستظهر بعد قليل وسترى الامة المصرية وأمم العالم أجمع
ان للوطن المصري أبناء مخلصين يقدرون الوطنية قدرها ويعرفون
لمصر حقوقها ولا يخافون الاحتلال وقوته بل يجاهدون في سبل
خلاص البلاد منه اشد الجهاد وأحسنه . ولا غرو فان سبل خدم
الوطن عديدة وان اهمها اعلان الحقيقة في كل بلد وفي كل زمان .
فالحرية بنت الحقيقة وما انتشرت الحقيقة في امة الا وارتفعت
كلمتها وعلا شأنها . فالحقيقة نور ساطع اذا انتشر اختفى الظلم
والظلمة وانتشرت الحرية والعدل . فكما ان الافراد لا تسلب
حقوقهم ولا يعتدي اللصوص على امتعتهم الا في ظلام الليل
الحالك . فكذلك شأن الامم لا تسلب حقوقها ولا يعتدي العدو
على املاكها الا اذا كانت الحقيقة مجهولة فيها وكانت هي عائشة
في الجهل والظلام

فيا ايها المصريون المخلصون بمصر . انشروا الحقيقة في امتكم
وفي الامم الاخرى . قولوا للمصري انه انسان من بني الانسان
له حقوق الانسان تروه رجلاً كرجال الامم الحرة يحمل لواء
الوطن بكل قوة واقدام . قولوا للفلاح المصري انه خلق انسانا
ككل انسان وان الله أعطاه في الحياة حقوق أكبر الافراد . وان
له صوتاً لو رفعه سمع في الملاء الأعلى وانه ما خلق لان يعمل لغيره
بل ليعمل لوطنه ولنفسه تروه عندئذ اشد الناس دفاعاً عن حقوق .
الامة والوطن . قولوا للامة المصرية انها امه كسائر الامم من
اقدس حقوقها أن تحكم نفسها بنفسها وان لا تنفذ رغائب غيرها .

وان تكون في بلادها عالية الكلمة قوية السلطة لا يرد لها رأي ولا يخالف لها أمر . هنالك تجدون الامة حية والشعب قوياً ولا ترون اولئك الذين يهزأون برغبة الشعب ورغبة نوابه ويسخرون من رغائب الامة ومن مطالبها

انشروا الحقيقة عن مسألة مصر في كل بلد وفي كل ناد . فليس المصريون وحدهم هم أصحاب الحقوق في مسألة مصر ضد المحتلين . بل منهم امم كثيرة من امم اوربا لها في مصر مصالح توافق مصالحهم ولا توافق مصالح المحتلين . وخير ما يعمل لمصلحة مصر هو ان ننضم الامم الاوربية الى الامة المصرية ضد الاحتلال الاجلنزي في ذلك الخلاص وفي ذلك السلام

ولسنا ايها السادة بانصار دولة دون دولة بل نحن أنصار الوطن المصري وطن الابهاء والاجداد وموطن الابهاء والاعقاب . فان ظهرت دولة من الدول بمظهر المحبة لمصر والميل لمساعدتها كند أكبر أصدقائها وأعظم أنصارها . فمصلحة وطننا قبل كل مصلحة . وهي هي المصلحة الوطنية التي تفرض علينا ان نشكر من صميم فؤادنا الذين رفضوا من سياسيي اوربا العمل مع الاجلنيز ضد مصر والذين أوقفوا الاجلنيز عند حد الاحتلال في البلاد . وهي هي المصلحة الوطنية التي تفرض علينا ان نشكر كل رجل من اي امة كان يدافع عن حقوق وطننا ويساعدنا على استرداد حريتنا وحقنا الشرعية

واذا كان بمضى الرجال المخلصين للوطن المميز يخافون الظهور باسم قوة الاحتلال بمظهر المجاهدين ضده ولا يستطيعون ان يقوموا أمام الامم مدافعين عن بلادهم مناضلين عن حقوق شعبهم .

فعلينهم في مصر نفسها واجبات وطنية يضيق المقام عن عددها .
ولكنني أقف قليلا وأذكر منها بنوع خاص واجب تربية الأمة
وتعليمها

نعم ان هذا الواجب أكبر واجب وطني والبلاد مطالبة بالقيام
به . فقد أصبحت المدارس على خلاف رغائب الشعب وآماله .
وأصبحت الأمة في حاجة الى مدارس أهلية ترشدها الى مصلحة
البلاد الحقيقية وتعلمها ما للأمة من الحقوق وما عليها نحو الوطن
من الواجبات

لم لا يقوم كراه مصر ووزرائها السالفون بأمر تأسيس المدارس
الأهلية وتربية الأمة . لم لا يعقدون الشركات لهذه الغاية ويخصصون
أيامهم الأخيرة لهذا العمل الشريف . رأينا عظماء منهم قام بمسألة
الإعانة العسكرية وأجهد نفسه في هذا الأمر وله من الأمة والوطن
جزيل الشكر والثناء . فلم لا نراه يقوم مع الكبراء الآخرين بمسألة
إعانة عمومية لتأسيس مدارس أهلية والبلاد في أشد حاجة إليها .
يا أيها الكبراء ويا أيها العظماء ويا أيها الأغنياء . ما الفخر بالرتب
والإلتاب ولا بسكنى التصور العالية والتحدث بما كان وما ربما
سيكون . بل الفخر كل الفخر في العمل إناء الليل وأطراف النهار
خدمة البلاد وإعلاء شأنها . فما الحياة أيام تمر وسنين تكرر بل بالعمل
وبالخدمة الوطنية

وما الحياة باتقاس نرددها ان الحياة حياة الفكر والعمل
واذا كان رجل ضعيف الصنوت مثلي يسأل السادة الأمراء
والسادة الأغنياء العمل في الشيخوخة والقيام في آخر العمر بنتائج
خدمتهم الوطنية فذلك لأنني أعتد ان الكثير منهم قضى حياة

شريفة وخدم البلاد بصدق واخلاص . فهي هي البلاد بنفسها
تسال خيرة رجالها على لسان أضعف أبنائها أن يقولوا مثلاً طيباً
للشبيبة والناشئين . وأن ينشروا في الأمة نور التربية ونور الحقيقة
وأن يبثوا فيها روح الوطنية وروح الرجاء

نرى الكثيرين من الاغنياء يهتمون بأمر توظيف أبنائهم ولا
يرون الشرف الا في الوظائف . فحتى يسمعون أنين الوطن وشكايته
من هذا الداء العضال . داء السعي وراء الوظائف

اتركوا الابناء معشر الالباء في الحياة الحرة . اتركوهم يخدموا
الوطن ويخدموا أنفسهم في غير دائرة الوظائف . اتركوهم أحراراً
غير مقيدين بقيود الرواتب . ابعثوا بهم الى الخارج ليدرسوا
التجارة والصناعة ويؤسسوا في البلاد المعامل والمصانع تزدادوا
بذلك شرفاً وفخراً وتزدادوا أمام الله وأمام الوطن مثوبة وأجرأً .
والا فان اهملت تربية الامة وبقي الكبراء منعكفين في ادارة شؤونهم
الخاصة واستمر الالباء يلتمون بالابناء الى مهاوي التوظيف في
الوظائف وبتميت التجارة والصناعة في كساد ودامت الامة في
حاجة الى استجلاب اوازمها الضرورية من غير بلادها . دام
الامحطاط ودام التأخر ودام الخطر (انتهت باختصار)

خطبة لسعد زغلول باشا

ليس في مصر اسم أجرى على اللسان تعرفه المرأة في خدرها ويهتف به
الطفل ويشيد به الشباب من اسم سعد زغلول . فهو الآن بطل الوطنية المصرية
غير مدافع . صلب المود قوي الشكيمة . عجمه الانجليز فاستخشنوه فلفظوه الى
أفريقي أفريقيا في جزيرة سيشل . فعاد أخشن ما كان موفور الكرامة
مرفوع الرأس

عدت على جسده عوادي الشيخوخة فاحنى ظهره عبء سبعة عقود .
ولكنه اغتصب من هذه الشيخوخة العادية تاجاً من الشعر الابيض زاده جلالاً
وجلالاً في عين الامة

له عزائم الشباب لان في قلبه فتوة الشباب . يفكر تفكير الفيلسوف لان
الطبيعة حابته برأس كبير كما حابه الدهر بتجارب لا عداد لها فكان محرراً وكان
ثامراً وكان محامياً وكان قاضياً وكان وزيراً

قال في سنة ١٩٢١ في فندق ماجستيك بالاسكندرية :

يا سمو الامير . اخواني . ابنائى

اعذروني اذا أنا لم أقدر ان أخطبكم كما أريد لأنى تعب .
اضناني التعب من هذه الاحتفالات الساهرة . تلك المظاهر الساحرة .
هذا الاستقبال الذي لا نظير له . واني بكل قوتي احتج على قول
حضرات أبنائى بأني انا وحدي الذي فعلت هذا الذي تمدحونني
عليه . أحتج بكل قوتي لأنى لست وحدي فيه . بل للامة جمعاء
أثر فيه

اريد في وسط هذه المظاهر الهائفة أن أوجه شكري وثنائي الى
الذين اشتركوا في تأسيس مجدا وتوفير سعادتنا وانا عاش آمالنا
أتوجه والخشوع يملأ جوارحي الى تلك الارواح الطاهرة
ارواح اولئك الابطال الذين نادوا بالحق والحق منكر . ففاضت
أرواحهم وألسنتهم تردد ذلك النداء . فاضت وقد شرفونا باقدامهم
والزموا الكل باحترام مصر واسمها وبيضوا وجوهنا . والآن
فليناموا هادئين فقد انبلج فجر الاستقلال مضمخاً بدمائهم .
وخلفوا من بعدهم من يستحق ذلك الفداء . يبيض الله برحمته
أجدائهم وأسكنهم جنات العلا وأرضى عن اعمالنا أرواحهم
وأراحهم بتحقيق آمالنا

لله در الشبيبة ما فعلت . فأنها قد فتحت ما ضمت صدورها
من كنوز الفتوة . وملاّت قلب البلاد عزة وحماسة وملاّت
رؤوسها حكمة وملاّت حركاتها نظاما . تلك الشبيبة التي هي عماد
الحركة الحاضرة ومبعث انوارها الساطعة . أشكرها شكراً جزيلاً .
وأرتاح جداً لأن المستقبل سيكون بيدها وهي يد ماهرة

وأشكر العلماء والقسس الذين باتحادهم ابطلوا حجة في يد
الخصوم طالما اتخذوها سلاحاً قاطعاً . أزالوا الفوارق وأثبتوا ان
الديانات واحدة تأمر بالدفاع عن الوطن . وانه ليس لها تأثير الا
في عبادة الخالق جل وعلا . أما في الوطن فالكل سواء

وأشكر أيضاً الامراء الذين حملهم ما ورثوه عن آبائهم من المجد
والفخار أن ينزلوا الى صفوفنا وينضموا الى التاجر والصانع والزارع
والعامل وكل من يخفي تحت تلك الثياب الزرقاء والبيضاء نفساً
كريمة وقلباً ألياً . انضموا الى هذه الصفوف لأجل أن يستحقوا
بعنوان آخر ذلك المجد الذي ورثوه عن الابهاء

فشكراً لهم ثم شكراً . والحق ان كل انسان من المصريين قد
قام بالواجب عليه . وكل نافس أخاه في القيام بهذا الواجب وزاد
عليه ليكون ممتازاً على اقرانه بشيء في خدمة الوطن العزيز . فكلكم
شاكر وكلكم مشكور . ومن مجموع هذه المساعي سارت قضيتنا
الى هذه النقطة الحاضرة . فانا لما قلنا ان الحماية لاغية أعلنوا اليوم
هم انها ليست باقية وأظهروا استعدادهم لاستبدالها بملاقة اخرى
راضية . والفضل في هذا الفرق العظيم لسعيكم لا لسعيي والتمسك
بالمبادئ السامية . فاهناوا بما نلتم واثبتوا حتى تفوزوا بالاماني الباقية

خطبة اخرى لسعد زغلول باشا

القاهيا في كلية الازهر بالقاهرة بين الطلبة في ابريل سنة ١٩٢١
جئت اليوم لأؤدي في هذا المكان الشريف فرض صلاة
الجمعة . ولأقدم واجبات الاحترام لمكان نشأت فيه وكان له فضل
كبير في النهضة الحاضرة . تلقيت فيه مبدأ الاستقلال لأن طريقته
في التعليم تربي ملكة في النفوس . فالتلميذ يختار شيخه والاستاذ
يتأهل للتدريس بشهادة من التلاميذ الذين كانوا يلتفون حول كل
تابع فيه ومتأهل له يوجه كل منهم اليه الاسئلة التي يراها . فان
اجاب الاستاذ وخرج ناجحاً من هذا الامتحان كان أهلاً لأن
يجلس مجلس التدريس . وهذه الطريقة من الاستقلال التي تسمى
الآن خللاً في النظام جعلتني أنحول من مالكي الى شافعي حيث
وجدت علماء الشافعية في ذلك الوقت أكفأ من غيرهم . ولقد كان
للأزهريين في الحركة الحاضرة فضل كبير بما التوه من الخطب وما
بثوا من الافكار والمبادئ النافعة

الجزء الثاني

عيون الخطب الافرنجية

خطبة برقليس

كان برقليس (٤٩٥ - ٤٢٩ ق . م .) من خطباء اثينا وأحد رجالها
للمدودين المحبوبين عند جمهور السكان . وهذه الخطبة القاها في السنة الاولى
من الحرب البلوونيزية رثاء للجنود الذين ماتوا في هذه الحرب سنة ٤٣١ ق . م .
اننا سعداء بنظام حكومي لسنا نحتاج به الى ان نحسد جيراننا
لما عندهم من القوانين لأنه نموذج يحتذي به الآخرون بينما هو اصيل
في اثينا . وهذا النظام الموكل بتنفيذه الى جميع الأمة وليس الى عدد
قليل منها يسمى الديمقراطية . فمهما اختلف كل فرد منا عن الآخر
في شؤونه الخاصة فنحن سواء في التمتع بمزايا قوانيننا وزداد مزايا
باعتدال تفوقنا . وشرف الاعجاب ليس مقصورا على أسرة واحدة
بل للجميع أن يحصلوا عليه باستحقاقهم الشخصي . ولا يقعد
الفقر بأحد يعني خدمة بلاده ويستطيع هذه الخدمة فينال الشهرة
بعد الخمول . فلكل منا الحق في دخول وظائف الحكومة دون أن
تعرضه عقبة . ولنا أن نميش حياتنا الشخصية في تبادل الحب
دون ان نلنا شبهة . ولسنا نغضب من جارنا اذا اتبع ميوله ولسنا
نستاء منه ذلك الاستياء الذي وان لم ينزل به عقاباً فإنه يحدث له
المأ . فنحن احرار في حياتنا الشخصية ولكننا لا نجرا مهما
كانت البواعث على مغاضبة الجمهور لما نحمل في صدورنا من احترام
الحكام والقوانين . وبخاصة تلك القوانين المدونة التي يقصد منها
التفريج عن المظلوم وتلك التي لم تدون والتي تعود مخالفتها بالعار
والفضيحة على من يخالفها

وقد هيأت لنا قوانيننا أوقات فراغ نمتع فيها عقولنا برؤية
الملاهي العمومية ومشاهد التضحية طول العام وهي تؤدي بأبهة
ورشاقة لاتبقيان في قلوب الناظرين محلا للهم أو الغم . وقد صارت
عظمة ائتنا مدينتنا هذه سبباً في جلب جيع حاصلات الأرض
باجمعها اليها فنحن نتمتع باطياب بلادنا كما نتمتع باطياب سائر
بلاد العالم

ولسنا في حاجة الى شواهد تثبت اننا نستحق هذه المكانة .
فان لنا حججاً قوية واضحة على ذلك وهي موضع اعجاب العصور
الحاضرة والمستقبله . فلسنا في حاجة الى شاعر مثل هوميروس
لكي يتغنى بمدحنا كما أننا لسنا في حاجة الى شاعر آخر لكي يزين
ناريحنا بمقود القريض لأن الرأي في مآثرنا لا يكون عندئذ رايأ
صحيحاً نزيهاً . فقد فتحت اساطيلنا كافة البحار وقد اخترقت
جيوشنا جميع الأرضين وترك وراءها آثاراً ابدية لعداوتنا
او صداقتنا

هذه هي الدولة التي دافع عنها هؤلاء الجنود الذين قضت عليهم
بسالنتهم والذين استهانوا بحياتهم فقاتلوا قتال الشجعان وماتوا موت
البسالة . واني مقتنع بان الذين لم يقتلوا على قدم الاستعداد متأهبون
لأن يبذلوا نفوسهم في هذا السبيل . ولهذا السبب تبسطت في بيان
المزايا الوطنية لكي ابرهن لكم بأوضح ما يمكن اننا في حربنا الراهنة
نحاطر باكثر مما نحاطر به امة ليس لها هذه المزايا الوطنية الثمينة ولكي
ابين لكم مقدار ما يستحقه هؤلاء الجنود من الشكر والحمد اللذين
قدمناهم لهم . وهذا الاحتفال الذي تحتفل به الدولة وتعلن فيه
ثناءها وحمدها انما مرجعه الى بسالة هؤلاء الجنود ومن يماثلهم من

الرجال . وهذا الثناء قد يمكن أن نعهده مبالغاً فيه اذا نحن أغدقناه على غير هؤلاء الجنود من الاثنيين . فهذا الموت الذي قد انتهوا اليه اكبر شاهد على جدارتهم . وعلينا دين يجب أن نوفيه بتكريم الرجال الذين ارصدوا حيائهم للقتال عن اوطانهم مهما كانوا أخط من غيرهم في مضمار الفضائل ما داموا قد حصلوا على فضيلة البسالة فان ما رُتبتهم الاخيرة تحو جميع مساوئهم السالفة لانها تشمل جمهور الامة بينما المساوىء لا تعدو العدد القليل . ولسنا نجعل انه لم يحجم احد من هؤلاء عن الخطر مؤثراً للملاذ التي تجتني من عيشة السلام الوفيرة . كما انه لم يضمن احد بحياته غروراً بالامل بأن الفاقة الراهنة قد تزول ويأتي مكانها الرخاء والسعة . كلا . انما كانت نستعر في قلوبهم شهوة واحدة . ألا وهي الانتقام من اعدائهم . لقد فروا من لومة الجبن وتصدروا لصدمة المعركة ثم حملوا وهم لا يروعهم روع وقد عقدت آمالهم النصر لهم فوقعوا وهكذا أدوا الواجب الذي يدين به كل شجاع لبلاده

واما أنتم الذين لم تقتلوا فشانكم أن تصلوا الى الآلهة لكي يكون حظكم خيراً من حظ هؤلاء . ولكن عليكم أن تحتفظوا بهذه الروح وتلك الحماسة اللتين تقاتلون بهما عدوكم . ولست احتاج الى بيان فائدة هذا في خطبة مثل هذه فان أي انسان يتلها بالالفاظ يستطيع ان يقول لكم ما تعرفونه انتم من قواعد مجاهدة العدو . ولكني أدعوكم الى أن تجعلوا عظمة أمتكم قبلة أفكاركم . فاذا أدركتم هذه العظمة فاذكروا أنها نيأت بالابطال الشجعان - رجال عرفوا واجبه واستحووا من العار وكانوا اذا ما اخفقت جهودهم خافوا الفضيحة على بلادهم فلم يضمنوا بشيء من شجاعتهم .

انهم اهدوا حياتهم الى الجهور ونالوا منه الحمد الذي لا يبلى .
ولكل منهم ضريح عظيم - ولا أعنى ذلك الضريح الذي يضم رفاتهم
الرميمة - وانما أعنى ذلك الذي يضم شهرتهم وذكرهم . وهو ضريح
يذكر كلما ذكر الشرف : فهذه الارض باجمعها ضريح عظماء الرجال

خطبة لديموستينيس

كان ديموستينيس (٣٨٢ - ٣٢٢ ق . م) خطيب اثينا بل زعيم
خطبائها . وكان قبل أن عرفه جمهور اثينا رجلا خاملا ضعيف البنية خائر الصوت
ليست لحركته لباقة ولا في لسانه طلاقة الخطيب . فلما اعتزم الخطابة « أخذ
يقوي رثتيه وصوته بالصباح وهو يصعد في الجبال الوعرة أو كان يقف على
شاطيء البحر فيرفع صوته فوق صخب الامواج . وتغلب على عاهة النطق بأن
كان يمارس الكلام وفي فيه حصى . وتعلم أصول اللباقة ورشاقة الحركة بأن
كان يقف امام مرآة وهو يخطب »

قال عنه فيليون : « اننا لا نفكر في كلماته بل نفكر في الاشياء التي
يقولها : فهو يبرق وهو يرعد بل هو سيل يجرف كل ما امامه . فلا نستطيع
أن ننتقده او نعجب به لاننا قد فقدنا حكمنا على مشاعرنا »

وقد كانت مهمة ديموستينيس التي عاش من أجلها ومات في سبيلها ايقاظ
ضمير الامة الاغريقية وتنبيهها الى الخطر الذي يحيق بها من فيلبس والد
الاسكندر المقدوني الذي كان ينوي ضم بلاد الاغريق الى مملكته . وكان قد
رشا خطباء اثينا لكي لا ينددوا باغراضه فسكتوا وابى ديموستينيس ان يرتشي
ويخون وطنه . وقضى حياته وهو يحرض الاثينيين على مقاتلة فيلبس حتى
دس له هذا الملك من بطارده . ففر الى احد المعابد وهناك تناول السم
بيده ومات

قال يحرض الاثينيين على قتال فيلبس :

ان يبينكم أيها الاثينيون من يعتقد انه يمكنه أن يربك الخطيب
بقوله : « لماذا فعل اذن ؟ » وعلى هذا السؤال اجيب : « لا تفعلوا

شيئاً مما تفعلونه الآن وافعلوا كل شيء لم تفعلوه » وانه لجواب حق وصدق . ولكنني سأزيدكم ايضاحاً ولعل أولئك الذين يسارعون الى السؤال يسارعون أيضاً الى العمل . فاذكروا أيها الاثينيون اولاً انه من الحقائق التي لا مراة فيها ان فيلبس قد نكث عهودكم وأعلن الحرب عليكم . فدعونا اذن من الثالب عن هذا الموضوع . ثم اذكروا انه عدو اثينا الألد - عدوها الذي يكره أرضها وأسوارها بل يكره أولئك الذين يقتبسون منكم بأنهم قد نالوا حظوة عنده

فان أخشى ما ينجشاه فيلبس وأمقت ما يمتته هو حريتنا . هو نظامنا الديمقراطي . فلن يرضى على هذه الحربة وهذا النظام يهين فيلبس جميع شراكة ويدبر جميع تدابيريه . اوليس يجري على مبدأ واحد في كل أعماله هذه ؟ انه يعرف تمام المعرفة انه لو أخضع بلاد الاغريق كافة وعمها بفتوحاته فانه يظل غير آمن عليها ما دامت ديمقراطيتكم صحيحة لم تمس . وهو يعرف انه لو أصابته هزيمة من تلك الهزائم التي تقدرها الاقدار لبني الانسان فان جميع هذه الامم التي قرنوا عنوة الى نيره تسارع الى الانضواء اليكم . أفي العالم ظالم يجب رده ؟ هاكم أثينا . أفي العالم أمة مقهورة تحتاج الى رد حريتها ايها ؟ هاكم اثينا ما اسرعها الى الاسعاف . فقيم نعجب من فيلبس اذا كان لا يطبق صبراً على هذه الحرية الاثينية التي تقف موقف الجاسوس ينظر الى شروره وآثامه ؟ فايقتوا أيها المواطنون انه عدوكم الذي لا هوادة عنده . وانه انما يعي جيوشه ويهين عدده وينصب اشراكه لكي يقاتل اثينا .

فانذا عليكم ان تفعلوا باعتباركم رجالا عقلاء قد اقتنعتم بصحة

هذه الحقائق ؟ يجب عليكم ان تنفضوا عنكم هذا السبات القاتل وان يتبرع كل منكم بنسبة ما يملك وان تطلبوا من حلفائكم ان يتبرعوا ثم تستعدوا للاحتفاظ بالجنود المسلحين حتى اذا كان فيلبس قد تهيأ لغزو الاغريق واخضاعهم يكون لديكم جيش تمدونهم به وتخلصونهم منه . ولا تخبروني عن المتاعب والنفقات التي يحتاجها هذا العمل . فاني لست انكرها . ولكن اعتبروا الخطر الذي يهددكم واعتبروا مبلغ ربحكم في ما اذا انضمتكم للدفاع عن قضية الوطن الى سائر الاغريق منذ الآن . والحق انه لو اكد لكم احد الآلهة ان فيلبس لن ينالكم باذى اذا بقيتم وادعين في مقامكم لا تحفلون بما يعمل فاني اقول لكم والسماء تشهد علي انه من الهوان ومن الصغار ومما هو دون كرامة دولتكم ومجد آبائكم ان تضحوا مصالح وطن الاغريق باجمعه لكي تنالوا انتم الراحة لأنفسكم

أجل . انه خير لي ان اهلك من ان اشير عليكم بهذا . فليفعل ذلك من يشأ غيره . واستمعوا لأقواله اذا اردتم . اما اذا كنتم تحسون مثل ما احس وترون كما ارى انه كلما امتدت فتوحات فيلبس كان في ذلك تقوية لعدونا وشدأ لازره علينا حين نضطر عاجلا او آجلا الى مكافحته فلم تترددون واي اضطراب تنتظرون ؟ فهل هناك ما يخشاه الاحرار قدر ما يخشون سقوط الشرف ؟ فهل انتم في انتظار هذا ؟ الا انه قد وقع بنا الآن ما تنتظرونه وان عبثه ليكدنا ويهظنا . لقد قلت « الآن » ولكن الحقيقة انه قد وقع منذ زمان ولازمنا وجهاً لوجه . الا ان هناك اضطراباً آخر قد احتفظ به لنا للمستقبل : هو اضطراب الرق والجلد والصنع . فولى

تنتظرون هذه الاشياء . الا لا قدرت الالهة . ان النطق بهذه
الكلمات مهانة وذل

خطبة لشيشرون

كان شيشرون (١٠٦ ق م - ٤٣ ق م .) في رومية بمقام
ديموستينيس في أثينا . وكان أديباً وخطيباً معاً ولكن تميزه كان أظهر في
الخطابة . وقد ولد في وقت بدأت فيه الجمهورية في التدهور وأخذ قواد الجيش
في الاستئثار بالسلطة . وأوشكت حرية الامة الرومانية ان تزول وان تسود
الامبراطورية . وقد حدث في حياة شيشرون ان حاكم صقلية المدعو فرس فد
طغى وتجبر على الاهالي فشكوه الى رومية فكان شيشرون « المهتم العام » او
النائب العمومي في القضية . فهياً أركان الاتهام والتي سبع خطب في صدها
فكانت من الفصاحة والبلاغة بحيث فر فرس قبل الحكم

وكان موضوع خطبه قبيل وفاته تحذير الرومانيين من انطونيوس الدائد
المشهور . فتخلص منه هذا بأن أرسل اليه من اغتاله

وقد ألقي الخطبة التالية وهو يتهم فرس بأنه جلد احد الرومانيين الذين
تكفي نسبتهم الى مدينة رومية في حقهم في ان لا يجلدوا . قال :

وحدث ان فرس جاء في ذلك اليوم الى مسانا فقدمت الفضية
له وقيل له ان الرجل روماني وأنه يشكو من انه قد حبس في محاجر
شيراقوز وكيف انه عندما كان يوشك أن ينزل الى السفينة اخذ
يفوه بالفاظ الوعيد يهدد بها فرس فاعيد ثانيا واعتقل ريثما يقرر قرار
فرس على ما يريد ان يفعله معه

وعندئذ يشكر فرس هؤلاء الأشخاص الذين اعتقلوا هذا
الروماني ويحمدهم على نشاطهم وحسن صنيعهم . ثم يأتي وهو
ثائر بالشر والجنون « الى الفورم » . عيناه تقدحان والقسوة تبدو من
وجهه والناس صامتون ينتظرون ما يشير به . ماذا يريد ان يفعل ؟

انه يأمر في الحال بان يقبض على الرجل وأن يجرد من ملابسه ويقيد في وسط الفورم ثم تعد الاسواط . ويصبح الرجل في تعسه وشقاوته بانه روماني وانه ايضاً معدود من اهل كوزا الحاصلة على الحقوق البلدية وانه قد خدم في الجيوش الرومانية تحت قيادة الفارس الروماني العظيم لوقيوس برينيس الذي يسكن في مدينة بانورماس وكان فرس يستطيع أن يساله عن صحة هذه الدعوى ان فرس يقول انه كان قد تحقق من أن المتهم قد ارسله العبيد الآبقون الى صقلية لكي يكون عيناً يتجسس لهم . وهذه تهمة لم نقم عليها بيئة وليس لها أصل بل ليس هناك أقل شبهة في وجودها في رأس أي انسان . ثم يأمر فرس ان يجلد الرجل بالسياط على جميع جوانب جسمه

رجل روماني يجلد بالسياط ايها القضاة في وسط الفورم ! وطول مدة هذا الجلد لا يتأوه الرجل ولا يسمع منه في وسط آلامه وبين قرعة الاسواط سوى هاتين الكلمتين : « انا روماني » كان هذا الرجل يتخيل انه بهاتين الكلمتين يستطيع ان يدفع عن نفسه هذه السياط وبقي نفسه عذاب الجلد . ولكن هذه الكلمات لم تقلل من عنف السياط ولم يجده رجاءه واثباته انه روماني شيئاً اذ رأى بعد الجلد انه قد احضرت له خشبة لكي يصلب عليها ولم يكن قد رأى قبلاً أن الاستبداد والجبروت يصلان الى هذا الحد

أ فواهاً على اسم الحرية الحلو . وواأسفاً على حقوق الحرية الرومانية . . . أيها القضاة . هذه سلطتكم التي أسفنا لضياعتها قد ردها اليكم الرومانيون فانظروا كيف يعامل روماني في مدينة من

مدن حلفائنا المتحدين معنا . يقيد ويحجّل بالسياط في وسط الفورم
بامر رجل لم يحصل على مركزه الا بفضل الرومانيين

خطبة للقديس برنار

كان القرن الثاني عشر قرن الحروب الدينية الصليبية فكان التمسك رأس
انفصال عند المسلم والنصراني وكان هو الزاد الذي تفتدي به القوة المعنوية
لكل من الفريقين . وكان القديس برنار رأس احد الاديرة في فرنسا وقد
عاش من ١٠٩١ الى ١١٥٣ م . وكان اذا خطب امتلك قلوب سامعيه لما
كان في كلماته من الاغراء وقوة الانعاج حتى « كانت الامهات يخفين اولادهن
والزوجات ازواجهن والناس اصدقاؤهم » عندما كان ينزل بيلدة ليخطب فيها
خوفاً عليهم من اغراء الخطيب لهم . وكان جل خطبه في الحض على مقاتلة
المسلمين واجلائهم عن سوريا وفلسطين . ويحسن ان يقارن القاري بين
هذه الخطبة وبين خطبة ابن الركي التي القاها عند فتح صلاح الدين لبيت
المقدس . ففي كلتا الخطبتين روح دينية هوجاء كلها بغض وكلها تعصب كأن
الحب والتسامح منكران لا ينبغي لاحد ان يدين بهما
قال القديس برنار يحض الاوربيين على حرب المسلمين :

لا مناص لكم من أن تعرفوا أننا نعيش في عصر العقاب
والدمار فان عدو البشر قد تفخ على جميع انحاء العالم هبوات الفساد
فاننا لا نرى سوى الشرور التي لا يعاقب عليها احد . ولم يعد
لقوانين الناس أو قوانين الدين قوة تكفي لوقف انحطاط الآداب
او منع الاشرار من التغلب . فلقد تبوأ الهراطقة كراسي الحق
وأرسل الله لعنته على الاماكن المقدسة . وأنتم أيها المستمعون لكلماتي
سارعوا الى تهدئة غضب الله . ولكن لا تسألوه أن يستجيب لكم
عن ظلمات كاذبة ولا تلبسوا الخيش وانما تأبطوا تروسكم فان
صليل السيوف وأخطار الحروب وكفاحها ومتاعبها هي الكفارات

للتى يطلبها الله منكم . فكفروا عن خطاياكم بما تناولونه من الانتصارات على الاعداء واجملوا خلاص الاماكن المقدسة مكافأة لكم على توبتكم

من منكم لا يمتشق حسامه اذا قيل لكم أن العدو قد غزا بلادكم وأوطانكم وأرضكم وأنه قد سبي زوجاتكم وبناتكم وتناول بالرجس معابدكم ، ان هذه الرزايا واكبر منها قد وقعت باخوانكم وباسرة يسوع المسيح التي هي اسرتكم . فلم تترددون في حسم هذه الشرور ولم لا تنتقمون لهذه الفظائع ؟ هل تتركون هؤلاء الاعداء هادئين ينظرون ويتأملون ما يرتكبونه من الماثم في المسيحيين ؟ اذكروا أن انتصارهم سيكون مريض ع حزن جميع العصور وسيكون للاجيال الحاضرة فضيحة أبدية لا تمحى . اجل . ان الله الحي قد كلفني ان أعلن لكم انه سيعاقب اولئك الذين لم ينصروه على أعدائه . فالى الحرب . هلموا اليها . وليؤنس قلوبكم غضب مقدس واجملوا العالم المسيحي باجمعه يتجاوب هذه الكلمات التي فاه بها النبي : « ملعون من لا يبلطخ سيفه بالدم » واذا كان الله يدعوكم الى الدفاع عن ميراثه فليس ذلك لأن يده قد فقدت قوتها . اليس في مقدوره أن يرسل اثني عشر جيشاً من الملائكة أو يفوه بكلمة فيذهب اعداؤه هباء ؟ ولكن الله نظر في أبناء البشر وأراد ان يفتح لهم الطريق الى رحمته فقد أراكم تبشير صباح يوم الأمان بأن هيا لكم الانتقام لمجده ولاسمة

ايها المجاهدون المسيحيون . ان الذي وهبكم حياته يطلب منكم حياتكم وهذه المعارك جديرة بكم لانكم تناولون المجد اذا انتصرتم والنفع اذا هلكتم . ايها الفرسان البواسل . يا حماة الصليب

الاجواد . اذكروا مثال آبائكم الذين فتحوا اورشليم والذين قد رقت اسماءهم في السماء فانبذوا ما يقفوا واجمعوا ما لا يقفوا وافتحوا ملكوتاً لا نهاية له

خطبة لبوسويه

كان بوسويه (١٦٢٧ - ١٧٠٤) من خطباء فرنسا الممدودين في عهد لويس الرابع عشر وكان قد نصب نفسه للدفاع عن الكاثوليكية فكانت أكثر خطبه مواظباً بقيتها من منابر الكنائس . وقد ارتد كثيرون من البروتستانت عن مذهبهم وعادوا الى الكنيسة الرومانية لقوة عارضته وفصاحة لقاؤه . وله خطب عديدة مدونة . أفضلها ما ألقاه في رثاء امير كونده وكان قائداً فرنسياً شهيراً . والمقدمة التالية محتارة من هذه الخطبة :

سار المرض في جسم امير كونده ولكن الموت كان قد أخفى اقترابه . فلما تحسنت حالته قليلاً وكان الدوق دانهيان الذي كان يوزع وقته بين واجباته نحو أبيه وواجباته نحو ملكه قد دعي الى البلاط - تغير عندئذ الامير لفراقه وهنا 'صرح له ايضاً بأن الموت قد اوشك ان ينزل به . ألا انصتوا ايها المسيحيون وتعلموا كيف يجب ان يموتوا . او تعلموا بالحري ألا تنتظروا الساعة الاخيرة لكي تشرعوا في ان تعيشوا . أنتظرون ان تبدتوا الحياة عندما تقبض عليكم يد الموت الباردة في وقت لا تعرفون فيه اذا كنتم بين الاحياء او الاموات ؟ ألا فانقوا بالندم والتوبة هذه الساعة - ساعة القلق والظلام

لم يدهش الامير عندما ألقى في سمعه هذا الحكم بل صمت لحظة ثم قال : « هذه مشيئتك يا ربى . فلتكن مشيئتك . فامنى على

بنعمتك لي أموت موة هنية »

فماذا ترغبون في أكثر من ذلك ؟ ففي هذه الصلاة القصيرة ترون الخضوع لمشيئة الله والاعتماد على عنايته والثقة بنعمته . وكل هذا تقوى وإيمان

ومن هذه اللحظة صار كما كان شأنه في معامع القتال هادئاً ضابطاً لنفسه لا يشغله سوى الاهتمام بمجنوده . كذلك كانت هذه حالته في هذا الصراع الأخير . فلم يترأ له الموت هيكلًا مخوفًا شاحباً ذابلاً أكثر مما كان يترأى له وهو في المعارك ينتظر الطفر . فبينما كانت التهنيدات والتأوهات تتصاعد حوله كان هو يدأب على إصدار أوامره كأنه لم يكن هو المقصود بهذه التهنيدات والتأوهات . وكان يأمرهم بالكف عن البكاء لا لأنه كان يحزنه هذا البكاء بل لأنه كان يموقه عن تأدية ما يرغب أداءه . وفي هذا الوقت امتدت عنايته الى أقل خدمه خطراً . فأنقل الجميع بهباته وشرفهم بتحف تذكارية وفعل ذلك بسخاء جدير بنبالته وبخدمتهم

وأسلم نفسه الى ذراعي الله وجعل ينتظر في هدوء خلاصه وكان يتهل اليه الى ان أسلم أنفاسه الأخيرة . وهنا ينبغي ان ينفجر رثاؤنا ونستسلم للتفجع على فقد مثل هذا العظيم . ولكن اعزازاً للحق وخزياً لأولئك الذين يزدرونه يجب ان تصفوا الى هذه الشهادة التي ألقاها وهو يجود بنفسه . فقد قال له الكاهن الذي حضر للاعتراف انه اذا لم يكن قلبنا باجمعه مع الله يجب ان نسأل الله ان يجعله كما يشاء وان نقول له كما قال داوود هذه الكلمات المؤثرة : « اللهم اخلق لي قلباً طاهراً »

فلما سمع الامير هذه الكلمات صمت وتأمل كأن الكاهن قد

أوحى اليه خاطراً عظيماً . ثم دعا الكاهن الذي فاه بهذه الكلمات وقال له : « اني ما شككت قط في خفايا الدين كما ذكر بعضهم ذلك عني »

أيها المسيحيون انه قال الصدق حين فاه بهذه الكلمات لانه كان في حال لم يكن مدينا فيه للعالم بشيء سوى الحق . وقد قال أيضاً : « وأنا الآن أقل شكاً مما كنت . فعسى هذه الحقائق تتكشف وتتوضح في ذهني . نعم سنرى الله وجهاً لوجه » ثم جمل يكرر هذه العبارة الاخيرة باللغة اللاتينية كأن معناها قد لذ له . وراه المحققون به وهو في هذه الحال الهنيئة فلم يضجروا من وقوفهم

فماذا كان حديث نفسه في هذا الوقت ؟ وأي نور جديد كان يلتصع فيها ؟ وما كان هذا الشعاع الفجائي الذي مزق سحب احساسه وشتت الظلام عنه بل بدد عنه هذه الظلال بل هذه الغوامض التي كانت تلبس الايمان ؟ وماذا جرى عندئذ لهذه الالقاب الفخمة التي نتباهى بها ؟

سرعان ما ننسى ونحن على حافة المجد وفي فجر هذا النور الجميل خيالات هذا العالم . وهذه الانتصارات اللامعة ما أكمدها في ذلك الوقت . وما أشد احتقارنا لاجداد هذا العالم وما أعظم اسفنا لان اعيننا قد عشت بسنائها

فهلماوا أيها الناس . بل هلماوا أيها الامراء والاشراف . ويا من تحكمون على هذه الارض . ويا من تفتحون أبواب السماء للناس . وأخصمكم اتم أيها الامراء والاميرات والنبلاء الذين هم من سلالة الملوك . اتم يا مصاييح فرنسا التي قد جلها السواد . اتم الذين

قد غشاكم الحزن كما تغشى السحب الارض . تعالوا وانظروا ماذا بقي من هذا النبل العظيم ومن هذه العظمة العليا ومن هذا المجد الذي يعيش الاميون

... تقدموا انتم يا من يتبعون طريق المجد ويسيرون اليه . وقلوبهم ممتلئة حماسة ونفوسهم شجاعة وتعطشاً الى الحروب . هل رأيتم من كان أجدر منه بقيادتهم ؟ فاندبوا قائدكم وابكوه ولسان حالكم يقول : « لقد قادنا هذا الرجل واقتحم بنا المعارك . ولنلنا في قيادته الرتب والدرجات واقتدينا به حتى وصلنا الى أشرف الغايات في الحروب ولا تزال لسله رهبة ينال بها الثفر . وها هو ذا الآن اسمه يحمس النفوس . ويحذرنا أيضاً . حتى اذا فاجأها الموت الذي به تستريح من متاعبها تكون قد اعدت نفسها لسكنائها الابدي . فهي لذلك في طاعتها الملك الارض يجب أن نخدم ملك السماء »

خطبة لفنيلون

كان فنيلون (١٦٥١ - ١٧١٥) مطراماً في فرنسا وكان مؤدب ابن لويس الرابع عشر وقد ألف له كتاب تلياك . وكان هذا الكتاب سبباً في حرمانه من منصبه لان لويس اعتقد انه وضعه لكي ينتقد به بطريق التلويح الاحكام الاستبدادية التي كان يجري عليها هذا الملك وكان خطيباً وواعظاً يجيد اذا تهيأ للخطبة ولا يأتي بالردل اذا ارتجل . وفي الخطبة التالية يحاول فنيلون ان يثبت وجود الله :

لست افتح عيني دون أن أرى المهارة في كل شيء . تكشفه لنا الطبيعة . فان لمحة واحدة تمكنني من ان أرى اليد التي صنعت كل هذه الاشياء . فان الذين قد تعودوا ان يفكروا في الحقائق

المجردة ويسيروا في تفكيرهم الى الاصول والمبادئ. الاولى برون
الله في الطبيعة لانهم يرونه في عقولهم . ولكن كلما استقام هذا
الطريق حاد عنه دهاء الناس وعامتهم الذين يتبعون اخيلتهم
قائبات وجود الله أمر بسيط ولهذه البساطة لا تستطيع
الاذهان التي لم تألف التفكير الذهني ان تقف على حقيقته .
وكما وضح النهج الذي يمكن به معرفة الكائن الاعلى قلت
العقول التي تسير في وضحه . على ان هناك طريقة يمكن ان تكون
اوفق الطرق لعامة الناس في اثبات وجود الله . فيها يمكن اولئك
الذين لا يكثر من الرياضة العقلية والذين هم اكثر الناس
خضوعاً لحواسهم ان يعرفوا الله الذي تمثله أعماله في الطبيعة .
فان الحكمة والقوة اللتين يظهرهما الله في كل شيء صنعه تدلان على
اسمه كما تعكس المرأة ظل الاشخاص لأولئك الذين لم يجدوا في
أذهانهم ما يثبت وجوده . وهذه فلسفة عامية تخاطب بها الحواس .
لكل انسان بعيد عن الهوى أن يدركها ويفهم مغزاها
فاذا فرضنا ان هناك رجلاً قد شغله شغل عظيم فقد نرى انه
يقضي أياماً عديدة في غرفته مكباً على عمله دون ان ينظر الى ابعاد
الغرفة او زخارفها او الصور المعلقة حواله . وهذه الاشياء جميعها
على الرغم من انها امام عينيه لا يراها ولا تترك أثراً في ذهنه .
وانما الناس يعيشون على هذا المثال . فكل شيء أمامهم يدل على
وجود الله ولكنهم لا يرونه . فهو في العالم وهو الذي صنعه ولكن
العالم يجهله . فهم يقضون حياتهم دون أن يروه لأن الحياة قد
فتنتهم وغشت على بصائرهم . وقد قال القديس اوغستين ان عجائب
الكون تنقص قيمتها في نظرنا اذا تكررت امام اعيننا . وقال

شيشرون الروماني : « لما كنا مضطرين الى رؤية الاشياء نفسها كل يوم فان العقل والعين يعتادان رؤيتهما . فلهذا لا نعجب ولا نحاول ان نكشف علل الحوادث التي نرى انها تحدث في طريقة واحدة لا تختلف . كأن جدة الشيء وما فيها من طلاوة هي التي تبعثنا على البحث ، أما عظمة الأشياء فلا تبعث فينا ذلك »

ولكن الطبيعة بأجمعها تثبت مهارة صانعها التي لا نهاية لها . وأقول ان الصدفة اي تتابع الحوادث تتابعاً لا ارادة فيه ليست هي أصل كل ما نرى . وحق علينا هنا ان نستشهد باحد أمثلة القدماء من يستطيع ان يقول ان اليازة هوميروس لم يؤلفها شاعر فحل وانما هي حروف الهجاء وضعت معاً دون ان ترتب فحدث صدفة واتفاقاً انها رتبت كل ما في مكانه بحيث صار منها نظم مختلف القوافي ومعان تلون الاشياء بأشرف الالوان وأجملها فترى فيها الاشخاص كالطبيعة لكل منهم خلق وروح ؟ فهما تمحل أي انسان فانه لن يستطيع ان يتنوع احدا ذا حواس سليمة بان الاليازة ليس لها مؤلف وان الصدفة هي التي اوجدتها . فكيف يعتمد اذن انسان ذو عقل ان الكون وهو من حيث العمل أعجب من الاليازة ليس له صانع وانه وجد بالصدفة والاتفاق

خطبة لكرومويل

كان كرومويل (١٥٩٩ - ١٦٨٦) زعيم الثورة الانجليزية على الملك تشارلس الاول ملك انجلترا . وكان هذا الملك قد نزع الى الاستبداد والفي البرلمان وأقفل أبوابه وطرده النواب . فألف كرومويل جيشاً وطارده حتى هزمه وأسر . وتألفت محكمة لمحاكمته فأدانته وحكمت عليه بالاعدام . وأعدم

نملا وصار اسمه عبرة لكل خائن من الملوك يستهين بدستور بلاده.
وصار كروموويل حاكم البلاد ودعي باسم « المولى الحامي » . قال كارليل
عن خطبه « انها تفوق ما يمتقده الانسان في مخالفتها للخطب وفي عدم جريها
على أساليب الخطابة أو في ترتيب الافكار ترتيباً منطقياً . . . ولكن مضى
زمن كان لهدم الخطب في انجلترا شأن لا يقل عن شأن خطب ديموستينيس
المصقول في أثينا »

وقد الى الخطبة التالية رداً على ما اقترحه عليه البعض من أن يلقب نفسه
بقلب الملوكية . قال :

سأقول الآن شيئاً عن نفسي . واني أجهر بضميري وهو اني
لست ممن يحفل بالالفاظ او الاسماء او ما الى ذلك . وليس أُمامي
نهمج واضح ولكن عندي كلمة الله التي آمل أن تكون معي على
الدوام والتي هي قوام ضميري ومعمل علمي ونبراس طريقي . واذا
كان حتماً ان الناس قد تقتادهم العناية الالهية الى الطرق المظلمة
فليس لأحد أن يعترض عليهم . إذ من من الناس يرضى أن يسير
في الظلام ؟ ولكن لله تدابير فاذا شاء انسان أن يعزو الى العناية
الالهية جنونه وعمى قلبه فعليه خطيئته . . . والحق أن عناية الله
قد نبذت لقب الملوكية ولم يكن هذا عن نزق أو عن هوى طارىء
من الامة . كلا . انما هو عن روية وتدبر لا يطلب من أمة كائنة
من كانت اكثر منهما . انه نتيجة حرب أهلية دامت عشر او اثني
عشرة سنة سفك فيها كثير من الدماء . ولست أُماري الآن في عدالة
هذه الحرب ولست أحتاج الى أن أخبركم عن رأيي في ما لو عادت
الحال التي دعت اليها . ولكن اذا كن هذا مما يمارى فيه فما يقوله
الانسان عند ما يجد ان الله في صرامة حكمه قد استاصل عائلة
باكملها وأقصاهم عن البلاد لأسباب يعلمها هو جلست قدرته بل انه

ختم الحرب بأن استأصل أيضاً الاسم واللقب
اني أنا لم أفعل هذا ولم يفعله أولئك الذين طلبوا إلي أن أتقلد
مقاليد الحكومة التي رأسها الآن . فان البرلمان هو الذي فعل
ذلك . وكانت لله بصيرة في قمع العائلة ومحو اللتب . وكما قلت لكم
لقد محا البرلمان هذا اللتب ونبذه وبقي منبوزاً الى يومنا هذا ...

واني ارجو اليكم الا تظنوا اني أقول هذا برهاناً على شيء ما .
كلا . ان الله أراد ان يحجزى الشخص والعائلة ففعل بل محا اللتب
أيضاً . والآن ماذا يقول انسان يرى حكم الله هذا ويتأمل فيه
ويرى هذا اللتب معفرا في التراب ؟ اقول اني الآن في مثل هذا
المقام . ان في هذا لعبرة يشفعل منها رجل ضعيف مثلي وقد تترك
انراً كبيراً في من هم أضعف مني . ولهذا فاني لا أبتني أن أقم
ما هدمه الله ودفنه في التراب . كلا اني لن أبني أريحا مرة
أخرى ...

إ وليس عندي أزيد مما قلته . وقد أشرت اليكم في أول مرة الى
الى هذه النهاية التي انتهت اليكم بها عند ما أوضحت لكم الطريق
الذي سأسلكه في هذه الخطبة . ويمكنني أن أقول انه ليس من
مصلحتي ولا من مصلحة الخدمة التي أحمل اعباءها أن أدلي بجميع
الحجج على عدم منفعة مقترحكم أو فائدته للقيام بتادية أعمالنا .
أقول انه ليس من المناسب ان اجهر بجميع الافكار التي تختلجني
عن نقطة الامن في هذا الموضوع ولكنني ادعو الله أن يوفقكم
الى ما فيه انقاذ ارادته . وهذا في الختام هو ما يمكنني أن أقوله
عن نفسي

خطبة لمارات

زعماء الثورة الفرنسية أشبه شيء بقصابين منهم بادباء أو سياسيين .
فديدنهم وهجيراهم القتل وسفك الدماء . وكان مارات (١٧٤٣ - ١٧٩٣)
أكثر هؤلاء الزعماء حرصاً للناس على التقتيل واعداد الدفوس . وكان له
شريكان في ارتكاب هذه المآثم باسم القانون وهما دانتون وروبسيير . ولما
ضج الناس من كثرة الدماء التي كان يلغ فيها مارات كثرت الشكوك حوله
وقصدت اليه فتاة تدعى شرلوط كوردي فقتلته وهو يستنقع في الحمام
والخطبة التالية القاها دفاعاً عن نفسه وكان قد اتهم بمحنة تهم وكان يخشى
أن يحكم عليه بالاعدام . قال :

لقد كنت أخاف وأرتعد من حركات الشعب الحماسية والخالية
من النظام عند ما رأيتهما قد تعدت حدود الضرورة . ولكي لا تموت
هذه الحركات موتاً أبدياً ثم لكي نتجنب ضرورة عودتها اقترحت ان
يدير الشعب في هذه الحركات رجل عاقل عادل مشهور بتعلقه
للحرية ويجعل الحرية العمومية غايتها العظمى . ولو ان الناس
استطاعوا أن يقدروا الحكمة في هذا المقترح ولو انهم اصطنعوه
برمته لاكتسحوا يوم فتح سجن الباستيل حمائة راس من
المتأمرين . ولو انا فعلنا هذا لاستترت الامور . ولهذا السبب
عينه اقترحت جملة مرار ان نعين شخصاً ونمنحه السلطة المطلقة .
والدليل على اني اردت أن أقيده للمصلحة العامة هو اني اقترحت
في أن يكون في طرف قدمه خرطوشة ولا يكون له من عمل
سوى اطاحة رؤوس الخونة

لقد كان هذا رأيي وقد أوضحته لأخصائي ونشرته في جميع

كتاباني وقد مهرت هذه الاقوال بتوقيعي ولست أستحي من ذلك
واذا كنتم انتم لا تتهمون فتعساً لكم

اننا نعيش في عصر ولما تاتته فيه أيام القلق والاضطراب .
وها نحن أولاء بازاء مائة الف وطني ذبحوا لانكم لم تستمعوا الى
صوتي . وثم مائة الف أخرى سيقاسون الآلام ويوشك أن يحل
بهم الدمار . واذكروا انه اذا تردد الشعب فلن يكون ثم طريق
آخر للموضى

لند نشرت هذه الآراء بين الجمهور فاذا كانت مخطرة فليفتندھا
المستنيرون بما لديهم من الادلة . أما عن شخصي فاني اصرح بانني
اكون أول من يسير على رأيهم وأقدم لهم بذلك البرهان القوي
على اني أرغب في السلام والنظام وسيادة القوانين عند ما أقتنع
بعداتهم

هل تهموموني بالطمع ؟ اني لا انزل للدفاع عن نفسي . اخصموا
سلوكي واحكموا على ماضي . فاني لو أردت أن أصمت وأتاجر
بهذا الصمت لصرت من ذوي الخطوة في البلاط . ثم ماذا كان
حظي ؟ لقد دفنت نفسي في المطبقات وتعرضت لجميع الاخطار
وقد علق فوق رأسي سيف مائة الف سفاك ووعظت الناس بالحق
ورأسي على النطع . فليتحدا أولئك الذين يخشون المستبدين معي
ومع جميع الوطنيين الصادقين وعلينا ان نحث الجمعية الوطنية على
التعجيل في اقرار القوانين التي تضمن للناس السعادة وبعد ذلك
اذهب فرحا الى المشنقة

خطبة للامارتين

كان لامارتين (١٧٩٠ - ١٨٦٩) شاعراً وأديباً وسياسياً فرنسياً . وكان خطيب الجمهورية ينافح عنها ولما حدثت ثورة سنة ١٨٤٨ كان هو من العوامل التي أفادت في منم الغلو فصار بالناس في طريق وسط وكبح جماح المتطرفين والملوكيين . وفي الخطبة التالية يفسر معنى الثورة الفرنسية وما جناها الناس منها . قال :

فما هي اذن الثورة الفرنسية ؟ هل هي كما يقول عباد الازمنة الماضية فتنة أمة مضطربة لغير سبب تهدم في تشنجاتها الجنونية كنيسها وحكومتها المملوكية وطبقاتها الاجتماعية وقوميتها حتى لقد مزقت أيضاً خريطة اوربا ؟ كلا . لم تكن الثورة الفرنسية فتنة منكودة كما يزعمون لان هبوب الفتن الى خمود عاجل وهي لا تترك وراءها سوى الجثث والدمار . وليس من ينكر ان الثورة قد خلفت وراءها دماراً وآلات للاعدام . وهذه لها بمثابة وخز الضمير للانسان ولكنها قد خلفت أيضاً مذهباً وخلفت روحاً ستبقى وتعيش مادام في الانسان ذهن يفكر

ا ل لسنا نقول هذا تشيماً لشيعه ولسنا نقصد الى تأليف شيعة . انما نكون رأياً وفي الرأي القوة والشرف والمناعة . فهل نحن لاجئون الى العنف والضغط والقتل في بدء جهادنا ؟ كلا . وعلمنا ان نشكر آباءنا لذلك لانهم قد خلفوا لنا الحرية التي لا تقتقر الى سلاح لان سلاحها سلاح السلم تنشأ وترقى دون حاجة الى القصب او الشطط . ولهذا سنحوز النصر . ثقوا بذلك . واذا سألتموني عن القوة الادبية التي سترغم الحكومة على النزول على

ارادة الامة لأجبتكم انها سيادة الافكار وملوكية الذهن وجمهورية
الذكاء . أو اقول بكلمة واحدة انها الرأي - هذه القوة الحديثة
التي لم يكن الندماء يعرفون اسمها

أيها السادة . لقد ولد الرأي العام يوم اخترع غوتنبرج الذي
لقب بصانع العالم الجديد بواسطة الطباعة تلك الصلة التي لا نهاية
لها بين الافكار والعقول الانسانية . وقوة الرأي هذه التي لا نكاد
تفهمها لبست محتاج في بسط سلطانها الى سمة الانتقام أو سيف
العدل او الى آلة الاعدام . لان في يدها ميزان الافكار
والمؤسسات والذهن البشري . ففي احدى كفتي ميزانها ستعش
مدة طويلة خرافات العقل البشري والاهواء التي تدعى لها
الفوائد وحقوق الملوك المقدسة والتمايز في الحقوق بين الطبقات
وعداء الدول وروح الفتح الحربي واحاد الدين والحكومة احاداً
فاسداً والرقابة على الافكار واسكات زعماء الشعب وتفتشي الجهل
بين سواد الامة والعمل في الخط من كرامتهم . اما في الكفة
الاخري فانتا سنضع أخف ما خلقه الله وأقله مادة نغي النور -
ذلك النور الذي تفجر من الثورة الفرنسية عند ختام القرن الماضي
ولا شك انه تفجر من بركان هو بركان الحق

خطبة لفكتور هيجو

كان فكتور هيجو (١٨٠٢ - ١٨٨٥) من اكبر القوى الادبية في
فرنسا زاول الشعر فبذ الشعراء ومارس الخطابة فكان الثاني في حلبتها عند
من يعدون ميرابو أولها في فرنسا . ونزع الى الشهرة والصيت بين العامة فبارس

السياسة وهجر الادب فنال مبتغاه وقد لادب العالمي رجلا من أهل الكمايات
فيه ظهرت بوادر أدبه في قصة « التمساء »
وقد ألنى الخطبة التالية في سنة ١٧٧٨ بمد مرومات سنة على وفاة الكاتب
الشهير فولتير . قال :

منذ مائة سنة مات رجل . ومات خالداً مثقلاً بالسنين
وبالاعمال وبابجد التبعات واكبرها ألا وهي تبعه تنوير ضمير
الانسان وتصحيحه . ومات تشيعه لعنات الماضي وبركات المستقبل
وكلاهما من مفاخر الحد . مات بين هتاف أهل جيله وخلفهم
وبين نعيب الماضي الذي لا يلين على اولئك الذين يجاهدونه . لقد
كان اكبر من رجل . أجل انه كان عصراً . لقد أنم عمله وأدى
الرسالة التي اختارته لها الارادة العليا التي تظهر في نظام القدر كما
تظهر في نواميس الطبيعة . فان الاربعة والثمانين العام التي قضاه
في هذا العالم كانت جسراً بين صعود الملوكية وزوغ فجر الثورة
فقد ولد في عصر لويس الرابع عشر ومات في حكم لويس السادس
عشر . فسطع على مهده ضوء العرش العظيم كما انتشرت على كفه
الاشعة الاولى من الهوة السجينة

فقد كانت ايام البلاط أعياداً وكانت فرساي زاهية وباريس
في جهل وكان القضاة للتوحش الديني يحكمون بقتل الرجل المسن
على الدواليب ويزرع لسان الطفل لأنه انشد احدى الاناشيد .
ورأى فولتير هذه الهيئة النكدة النزقة وادرك جميع القوى التي
عبئت عليه من البلاط والاشراف والممولين وهذا السواد الاعمى
من الشعب وهذه المحاكم التي تذلل الرعية وتستذل للراعي فتسحق
وتتعلق وتجنوا امام الملك على رقاب الناس ثم هؤلاء القساوسة وهم

اخلاط مناكيد لا يعرفون سوى النفاق والتعصب فاعلن عليهم الحرب وشن غارته على هذا التآلف المكون من المظالم الاجتماعية وعلى هذا العالم القوي العظيم

فماذا كان سلاحه ؟ كان ذلك السلاح الذي هو اخف من الريح ولكن له قوة الصواعق اعنى به القلم . جاهد فولتير بهذا السلاح وظفر به . فلتحي هذه الذكرى . لقد انتصر وهو فرد يحارب جموعاً متألبة . وكانت حربه حرباً بين العقل والمادة بل بين الرأي والهوى أثبتت دفاعاً عن المحققين على المبطلين وعن المستضعفين على الظلمة الجائرين وكانت حرب الدفاع عن الخير والرحمة . وكانت في قلبه رقة النساء وغضب الأبطال . وكان هو عقلاً كبيراً وقلباً عظيماً . هزم القوانين القديمة ودمغ العقائد العتيقة انه انتصر على اشراف الاقطاعات وعلى قضاة التوط وقساوسة الرومان ورفع العامة الرعاع الى مقام الشعب . وكان يعلم وكان ينشر السلم وكان ينشر المدنية . وكان لا يعبأ بالتهديد أو السباب أو الاضطهاد أو مقالة السوء أو النفي . وكانت ابتسامته تدمغ العنف وكان يهزم الاستبداد بتهكمه ويعبث بالمغرورين ويثبت امام المكابرين ويتغلب على الجهالة بالحق

خطبة لكوشوث

في سنة ١٨٤٨ شذات اوربا او كادت تشملها ثورة تختلف نزعة ومبادئ باختلاف المكان . فكانت في هنغاريا تنزع نحو استقلال البلاد . فآخذ المجريون في الاتحاد وكافوا الاستبداد مكافئة الابطال واوشكوا أن يتغلبوا على النمساويين . فما هو أن احست روسيا بنهوضهم وقرب انفكاكهم من قيد العبودية حتى خشيت على بناتها أن يهدم في أثر هذه الحركة التي تصير عندهن

مثالا وقدوة للشعوب المغلوبة على أمرها في دولة القياصرة . فارسلت جوعها الى النساء وشدت ازرها فاخذت ثورة المجر . وعادت هنغاريا في قيد الاستعباد ولكن لم تمض عشرون سنة حتى نالت استقلالها وصارت شريكة في مملكة « النمسا والمجر »

وكان زعيم الثورة في سنة ١٨٤٨ رجل يدعى كوشوث وقف حياته على استقلال بلاده وأرصد جهوده لتخليصها من نير النمساويين . فلما تألب الاستبداد وعقد الروسيون والنمساويون الحماص على خنق حرية المجر وغمروهم بجيوشها فر الى تركيا . فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار فقبض عليه الاتراك وسجنوه بدسائس السياسة النمساوية . وقضى سنوات يكابد عذاب السجن في الاناضول حتى تحرك الراي العام في انجلترا والولايات المتحدة وطلب الافراج عنه فسمى سفيرا هاتين الدولتين حتى اطلق سراحه فمضى سائر ما بقي له من العمر فيهما . وكان يخطط ويدعو الى نصرة بلاده . وقد القى الخطبة التالية في برلمان الولايات المتحدة في واشنتون اذ دعاه الاعضاء الى وليمة في سنة ١٨٥٢ تكريماً له واعزازاً للمبدأ الذي قضى حياته في الدفاع عنه . قال :

أقف الآن امامكم كما وقف قينياس الاغريقي امام مجلس الشيوخ في رومية - ذلك المجلس الذي كان بكلمة واحدة حافلة بجلالة القوة يتحكم في أحوال العالم ويقف عتاة الملوك عن السير في طريق اطماعهم - اقف الآن امامكم وقلبي مفعم بالاعجاب والاحترام لكم انتم المنشعرون في هذا البرلمان الذين تمثلون جلالة الأمة المتحدة . ان جدران مجلس الشيوخ الروماني لا تزال اطلالها قائمة ولكن روحها قد هجرها اليكم بعد أن تنسم نسيم الحرية . وتلك الاطلال التي لا تزال شاخصة تغشيها الكآبة هي رمز الى فناء الجهود الانسانية وزوالها بينما هذا المكان هو رمز للحقوق الأبدية . كان ذلك المجلس كاسياً بلون الفتوح والحروب احمر قانياً وهو الآن في

ليل حالك من ظلام الظالمين بينما مجلسكم يسطع بضوء الحرية
اللامع . كان ذلك يحتج العالم الى مجده بينما مجلسكم هذا يحمي امتكم
ولا يرضى بان يستحوذ على شيء من حقوق الأمة . كان لذلك
روعة القوة التي لا تقاوم بينما أنتم تفخرون بتقيد هذه القوة .
وكانت الأمم ترتعد وترجف اذا رأت ذلك المجلس بينما الانسانية
تعقد الرجاء بكم عند ما تنظر الى مجلسكم . وكان لا يدخل ذلك
المجلس من الغرباء الا مهزوم او منكوب قد شدت ايديه بالأغلال
لكي يركع عند اقدام الظافرين وأما أنتم فيدخل الغريب المبتس
اليكم فتدعونه الى أن يتعد بجانبكم حيث لا يدعى الملوك والقيصرة
وليس لهذا الغريب من ميزة سوى انه زعيم مضطهد لأمة مقهورة
لا حول له ولا قوة . كان شعار ذلك المجلس القديم : « ويل
للمغلوبين » بينما شعاركم حماية المظلوم ولعنة الغاصب وعزاء المهزوم
في قضية الحق . و بينما كان ذاك يقعد فيه رجال يفخرون بسيادتهم
على العالم يقعد هنا رجال ينحصر مجدهم في الاعتراف بنواميس
الطبيعة وبأله الطبيعة وفي انفاذ ارادة الامة التي هم خدامها

وان في تكريمكم اياي لتاريخاً للأجيال المقبلة . اجل . ان
الاجيال المقبلة ستقرأ تاريخ ذلك الرجل الذي كان أول حاكم
لبلاد المجر المستقلة فاخرجته القوة الروسية الغاشمة طريداً من
بلاده فعاش في المنفى في بلاد الاتراك يحميه سلطان مسلم من
استكلاب الجائرين انسيحيين ثم طوحت به دسائس السياسة الى
سجون آسيا ثم مدت اليه اميركا يده فخلصته حتى اذا عبر المحيط
الاطلانتيني وهو يحمل آمال الامم المظلومة ويتف امام أهل هذه
الجمهورية الكبرى فيذكر امامهم ظلامات بلاده وارتباطها بمصير

القارة الاوربية ويصرح بجرأة من يدافع عن حق بوجوب رفع مبادئ الدين المسيحي الى أن تكون قوانين دولية ، لم ير ان جرأته قد قوبلت بالصنح فحسب بل يجد ايضاً عزاء في عطف الملايين وتشجيع الافراد والمدن والاجتماعات والولايات تسنده معونتهم العاملة وتحية حكومتهم وبرلمانهم وتقعده مقعد الضيف المكرم وتسبغ عليه من المكارم ما لا يطمع فيه امير قوي . ثم هذه الوليمة وهذا الشراب الذي تتساقاه - اجل ان لني هذا تاريخاً للاجيال المقبلة

واني أؤكد دون تردد انه لا يوجد في بلادكم العليمة هذه رجل واحد قد خطر براسه أن يضع مقعد اطماعه على اطلال حرية بلاده . وهو لو اتيح له تحقيق ذلك لما رغب فيه . لأن للمؤسسات التي تنشأ بين ظهرائي اداة اثاراً تنعكس على اخلاق افرادها . ومن زرع الريح حصد الزوابع . فالتاريخ يكشف عن مقاصد العناية الالهية . فالله القادر يدير العالم المادي والعالم الادبي بنواميس أبدية . وكل ناموس مبدأ وكل مبدأ ناموس . والافراد كالنام لهم حق اختيار المبادئ بما لهم من الارادة الحرة . ولكنهم اذا ما اختاروا لم يعد لهم مفر من نتيجة اختيارهم . فالحرية من لوازم الحكومة الذاتية . والعدالة والوطنية من لوازم الحرية . ومن مبدأ «المركزية» في الحكم يتولد الطمع . والاستبداد من لوازم الطمع . وان بلادكم لسعيدة لأنها قد اغرمت بالحكومة الذاتية غراماً شديداً . وعلى هذا الاساس بنى آباؤكم بيتاً للحرية هو أجد ما رأى العالم . وريقتم انتم بهذا البناء حتى صار اعجوبة العالم . ان بلادكم سعيدة اذ

اصطفاه الله لكي يثبت امكان اتحاد الولايات المستقلة كل منها
محتفظ بحقوقه واستقلال حكومته ومع ذلك فهي كلها متحدة في
دولة واحدة لكل نجم منها نوره الخاص يتلألأ ومن الجميع
تتألف مجموعة تضيء سماء البشر

خطبة لغامبتا

كان غامبتا (١٨٣٨ — ١٨٨٢) أحد مؤسسي الجمهورية الفرنسية الحديثة.
وعندما حاصر الالمان باريس في سنة ١٨٧١ فر من هذه العاصمة في بلون
على أجنحة الربح حتى اذا صار بنجوة من جيوشهم نزل فأصاب بالأمّة
الفرنسية فالتفت حوله فجعات الجيوش تعبي تلو الجيوش فلا تصيب من الاعداء
سوى الهزيمة فتخلى عنه انصاره فاستقال هو من الزعامة ورحل الى اسبانيا .
ونازل الجنرال مكماهون فحكم عليه بالحبس والغرامة ولكنه عاد ففاز عليه
واستقال الجنرال . وكان رئيساً للوزارة الفرنسية ثم استقال في سنة
١٨٨٢ . وفي سنة ١٩٢٠ عندما احتفل بمرور خمسين سنة على الجمهورية
أخذ قلبه فدفن في البانثيون مثنوى أجساد عظماء الفرنسيين . وقد ألقى
الخطبة التالية انهاضاً لهمم الفرنسيين بعد الانكسار العظيم الذي نالهم على يد
الالمان . قال :

ان طبقة الفلاحين تتأخر جملة قرون عن طبقة المستنيرين
والمتعلمين في هذه البلاد . اجل . ان المسافة بعيدة بيننا وبينهم
نحن الذين قد حظينا بتعلم العلوم والآداب وإن كان هذا التعلم
لا يزال ناقصاً . فلتد تهللنا قراءة تاريخ بلادنا وأن نتكلم لغتنا بينما
- وهذا من الفضائل - لا يزال كثير من مواطنينا لا يستطيعون الأداء
ويبيع هذا السلاح قد قيدته أرضه بتييد الاسار بحمل عبثها
حمل المنتدر الجسور وليس له من عزاء سوى أن يترك لأبائنه أرضه
أملأ أن يزيدوها فدائاً أو بعض فدان . فجميع عواطفه ومخاوفه

ومباهجه معقودة بمصير أرضه . وأما عن العالم الخارجي وعن الاجتماع البشري الذي يعيش بين ظهرائه فلا يدري سوى الاساطير والاشاعات . وهو مع ذلك فريسة الخداع والغش . فهو يطعن على غير دراية منه قلب الثورة التي أغدقت عليه النعم . ويدفع ضرائبه ويستخو بدمه لهذا الاجتماع الذي يحشاه بمتدار ما يحترمه . ولكن الى هنا تنتهي مهمته فاذا تكلمت معه عن المبادئ تبينت أنه يجهل كل شيء .

قالى الفلاحين اذن يجب أن توجه عنايتنا فهم الذين يجب علينا ان نرفعهم ونعلمهم . ولا ينبغي أن تنبذ الأحزاب بعضها بعضا بلفظة « الفلاحين » او « مجلس الفلاحين » ولا ينبغي ان يكون في هذه الألفاظ ما يسوء أحداً . فياليت كان لنا مجلس فلاحين في المعنى الحقيقي لهذه الكلمة . لان مثل هذا المجلس لم يكن ليؤلف من جهلة بل من المزارعين الأحرار المستنيرين الذين يستطيعون النيابة عن طبقتهم . وبدلاً من ان تكون هذه الكلمة داعية إلى الهزء والسخرية تكون داعية الى تقدم سواد الأمة وتحضرهم . فمثل هذه القوة الاجتماعية الجديدة يمكن الانتفاع بها في المصلحة العامة إلا أننا لسوء الحظ لم نصل بعد الى هذه الدرجة وسنظل محرومين من هذا التقدم مادامت الديكتاتورية الفرنسية لا تعرف اننا بتعمير الأرياف ورد عظمة الفلاحين وقومهم وعبقريتهم اليهم وفي تربية هؤلاء العمال وتحريرهم انما نعمل بصاحبة العاجبات العليا ونمس مادة بكمراً حاوية لكنوز لا تقنى من النشاط والكفاية . فعلىنا أن نتعلم ثم نعلم الفلاح ما عليه من الواجبات اللازمة وما له من الحقوق عليها

وفي ذلك اليوم الذي ندرك فيه أنه ليس علينا من الواجبات
ما هو أعظم من هذا وأنه يجب علينا أن نرجى جميع الإصلاحات
وان نعرف أنه ليس يلزمنا سوى واجب واحد هو تعلم الأمة
ونشر التربية وتشجيع العلوم - في هذا اليوم نكون قد خطونا
خطوة واسعة نحو احياء الأمة. ولكن هذا العمل يجب أن يكون
همزودجاً يؤثر في العقل كما يفعل في الجسم. وبعبارة أدق أقول أنه
يجب على كل إنسان أن يكون ذكياً مدرباً على التفكير والتراءة
ومع ذلك ذا جسم قادر على العمل والفتال. فالى جانب كل
معلم يجب أن ينفذ الجندي ومدرس الرياضة وذلك حتى يكون
أولادنا وجنودنا وسائر مواطنينا قادرين على أن يحملوا السيف
والبندقية وأن يسيروا على أقدامهم المسافات البعيدة وأن يناموا
تحت قبة السماء وأن يتحملوا ببسالة جميع المشقات التي تعرض
للارطنيين. فعلينا أن نرقي هاتين النتربيتين ، وتذكروا أنكم ان
لم تفعلوا ذلك فنه باحكم في الآداب لن يجعل منكم سوراً وطنياً
يخشي البلاد من الأعداء

واذكروا أيها السادة انه اذا كان الابان قد تفوقوا علينا وإذا
كنتم قد اضطررتم إلى مكابدة الآلام في رؤية بلادكم - بلاد
كثير وهوش - تنفذ أعظم ولاياتها التي يتجسم فيها الروح الحربي
والتجاري والصناعي والديمقراطي فليس ذلك الا لنقمس في آداب
الأمة وصلة اجسامها. والآن تقضي مصالح بلادنا بأن نلزم
السمت فلا نطلق بكلمة هوجاء وان نكظم غيظنا في صدورنا
وان نتوهم بذلك الواجب العظيم ألا وهو احياء الامة فنرصد له
ما يلزمه من الوقت حتى يصير عملاً ثابتاً يدوم مع الأيام. فاذا كان

هذا العمل يقتضي عشرة أعوام أو عشرين عاما لانجازه فيجب ألا نضن عليه بهذا الوقت . ولكن علينا أن نشرع من الآن حتى نرى في كل عام تقدم الجيل الجديد في القوة والذكاء وحب العلوم وحب الوطن بحيث تحمل قلوب الشباب عاطفة مزدوجة ألا وهي أنه لا يخدم البلاد تمام الخدمة وينصح لها الولاء الا من يخدمها بعقله وذراعه

لقد تعلمنا نحن تعليماً غير مهذب فملينا ان نعالج أنفسنا من ذلك الغرور الذي جلب علينا البلياء العديدة . وعلينا أن نتحقق المسؤولية فاذا عرفنا العلاج بذلنا كل شيء للوصول الى الغاية وهي احياء فرنسا . ففي سبيل هذه الغاية يجب ان لا نبخل بشيء مهما عظمت قيمته وأن لا نسأل عن شيء آخر قبل تحقيقها . فأولى حاجتنا في هذا السبيل هي التربية — تربية كاملة من القاعدة الى القمة بمقدار ما يستطيعه الذكاء الانساني . ومن الطبيعي أن نعترف بحقوق الجدارة فيجب إيقاظ الكفايات وتركيتها . ويجب اصطفاء القضاة الاشراف النزيهين وأن تكون أحكامهم عمومية تثبت للجمهور انه ليس ثم من مفتاح يفتح ابواب الحق سوى الجدارة . وعليكم أن تنبذوا أولئك الذين يضعون الاقوال مكان الاعمال وأولئك الذين يضعون المحابة مكان الجدارة وأولئك الذين يحملون السيف لا لحماية فرنسا وانما ابتغاء خدمة احد الاشخاص يطوح بهم في سبيل اهوائه ويشركهم في جرائمه — هؤلاء هم دعاة السوء وفاعلو الشر الذين يجب عليكم ان تنبذوهم

خطبة للنكولن

كان ابراهام لنكولن (١٨٠٩ — ١٨٦٥) زعيما لحزب تحرير العبيد في الولايات المتحدة الاميركية ثم رئيساً لهذه الجمهورية الكبرى . وربما لم تقع في العالم حرب اشرف من هذه الحرب . فقد انشطرت الامة شطرين : احدهما المؤلف من أهل الشمال يقودهم لنكولن يرغب في محو العبودية ورفع الزنوج الى مرتبة الاحرار . ولم تكن لهم مصلحة مالية في ذلك ولم يكن لهم مأرب خاص وانما غايتهم تحرير الانسان . وكان الشطر الثاني مؤلفاً من اهل الجنوب وكانوا يستوردون العبيد من افريقيا ويستغلونهم في مزارعهم فيسخرونهم لاعمالهم يشغلون نهارهم بلا اجر لا يأخذون من اسيادهم سوى كفافهم من الطعام . واشتلت الحرب وانهم اهل الجنوب وفتح بذلك الانسان فتح جديد في المبادئ الادبية العليا . وقد القى لنكولن الكلمات الالية في خطبة افتتاح عهد الرئاسة الثانية . قال :

ابناء وطني : في وقوفي الآن امامكم للمرة الثانية لكي اقدم عين عهد الرئاسة لا تتيح لي الفرصة ان أسهب في الكلام بمقدار ما فعلت في المرة الاولى . فقد كان من المناسب في ذلك الوقت ان التي امامكم بياناً مفصلاً بعض التفصيل عن الخطة التي أزمعنا اتباعها . أما الآن فبعد انصرام أربع سنوات تليت فيها تصريحات عمومية عن أماكن النزاع ووجوهه - هذا النزاع الذي لا يزال يستغرق جعود الامة وهمها - فليس لدي من القول مما جد سوى القليل . فان تقدم جيوشنا الذي يتوقف عليه كل شيء آخر معلوم لديكم كما هو معلوم لدي . واني أعتقد انه تقدم يجب أن نقتنع به وتشجع منه . ولست اجروء على التنبؤ ولكن رجائي في المستقبل عظيم . وقد كانت افكارنا في مثل هذا الموقف منذ اربع سنوات

تتجه نحو حرب اهلية وشيكة الوقوع . وكنا كلنا نخشى هذه الحرب . وكنا كلنا نبحث عن السبيل الى تجنبها . وبينما كانت الخطبة الافتتاحية تلقى من هذا المكان وكانت كلها تدعو الى الاتحاد وتجنب الحرب كانت العوامل الثائرة تعمل في المدينة لتمزيق هذا الاتحاد بدون الحرب وقسمة الغنائم بالمفاوضات . وكان كلا الحزبين يكره الحرب ولكن كان أحدهما يؤثر الحرب على تمزيق وحدة الأمة . فكانت الحرب

كان العبيد السود يؤلفون الثمن من سكان هذه البلاد ولم يكونوا متوزعين بالتساوي في أحيائها وانما كانوا يسكنون الجنوب . ومن هؤلاء العبيد كانت تنتفع أناس منفعة خاصة عظيمة . وكلنا كنا نعرف ان هذه المنفعة ستثير الحرب . وكان الثائرون الداعون الى تمزيق وحدة الامة يقصدون الى تقوية هذه المنفعة وتخليدها ومد شبكتها ولم يكن قصد الحكومة الاتحاد هذه المنفعة وقصرها على مكانها دون أن تتسع دائرتها الى ولايات أخرى . ولم يكن احد الحزبين يتوقع أن تبلغ الحرب هذا المدى أو تطول الى هذه المدة كما لم يكن احدهما يتوقع حسم النزاع والاتفاق قبلما تعرف نتيجة الحرب . فكان كلاهما ينتظر انتصاراً سهلاً أهون في النتائج وأقل في الروعة . فكلما يقرأ انجيلاً واحداً ويصلي لاله واحد . ولاما يدعو الله أن يعينه على خصمه . وربما يتراءى لكم من الغريب أن يدع انسان ربه لكي يؤيده في انزع الخبز من عرق جبين الآخرين ولكن لنترك الحكم على الناس حتى لا يحكم علينا . ولم يستجب الله لدعوات أحد الحزبين استجابة تامة لأن الخالق مقاصد لا ندرکها

واذا نحن اعتقدنا ان هذا الرق الافريقي هو احد تلك الذنوب التي قدر الله حدوثها في وقت ما وان هذا الوقت قد انقضى بحكم الله وان عنايته الالهية قد قضت بان يزيل هذا الذنب وانه قد اوجد هذه الحرب الهائلة لهذا المقصد فهل نجد في هذا مخالفة للصفات الالهية التي يؤمن المؤمنون بوجودها في الله ؟

وانا لارجو الرجاء كله ونصلي الصلوات الحارة لكي تنتهي هذه الحرب العتيدة وتزول بليتها عنا . ولكن اذا كانت ارادة الله قد قضت بأن تستمر هذه الحرب حتى تأكل الاموال التي تكسبت من كد العبيد كدأ غير مكافأ مدة مائتي وخمسين عاما وحتى يأخذ السيف من دم سادة العبيد متدار ما اخذه هؤلاء بالسوط من دم عبيدهم كما قيل منذ ثلاثة الاف عام فيجب ان نقول ان ارادة الله هي الارادة الصادقة وهي الارادة الحقة

فلنجاهد في انهاء هذا العمل الذي نحن فيه وصدورنا خلو من النيات السيئة نحو الناس وقلوبنا تفيض بالتساح نحو الجميع ثابتين في الحق كما يرشدنا اليه الله حتى نضمم جراح الأمة وعلمينا ان نعني بذلك الذي اصطلح بنار الحرب ونعني بمن تركه من الايامى والميتمين . وان نعمل كل ما يهيء لنا صلحاً دائماً بيننا وبين جميع العالم

خطبة لكافور

كان كافور (١٨١٠-١٨٦١) من عظماء ساسة القرن التاسع عشر فقد أسس دولة ايطاليا الحديثة وتوج عليها الملك فكتور عمانوئيل فكان لملكه ايطاليا بمقام ابى مسلم الحراساني للدولة العباسية . ولكنه لم يجز على فضله جزاء سنهار كما كوفىء ابو مسلم . ومات بعيد اتمام عمله بشهور مذكوراً من

بني وطنه بالفضل والحمد . وهذه الخطبة التالية القاها يناشد فيها قومه بأن يجعلوا رومية عاصمة الدولة الجديدة . قال :

يجب ان تكون رومية عاصمة ايطاليا اذ ليس هناك حل للمسألة الرومانية ما لم توافق ايطاليا اوربا على هذا المبدأ واذا كان هناك من يتوهم ان ايطاليا المتحدة يمكن ان تعيش وتدوم دون ان تكون رومية عاصمتها فاني اصرح بأن المسألة الرومانية تبقى مع ذلك صعبة الحل ان لم يكن حلها عندئذ محالا . ولعلكم تسألوني عن السبب في تشبثنا بحقنا او بواجبنا في جعل رومية عاصمة ايطاليا المتحدة ؟ ذلك لأنه اذا لم تكن رومية عاصمة ايطاليا فوجود مملكة ايطاليا لن يتحقق . وهذه حقيقة يشعر بها الايطاليون شعوراً غريزياً ويؤكدوها جميع الذين يزنون المسائل الايطالية من الاجانب بميزان الحق والنزاهة وهي حقيقة لا تحتاج الى ايضاح لأن الامة باجمعتها تقول بها وتنصرها

ومع ذلك ، ايها السادة ، فهذه الحقيقة يدعمها برهان بسيط . وذلك ان ايطاليا لا تزال في حاجة الى عمل اشياء عديدة قبلما تستقيم على قاعدة ثابتة وامامها عديد من المسائل التي اوجدها اتحادها الجديد والتي تحتاج الى حل سريع وامامها من العراقيل التي اوجدها التقاليد التليدة ما يحتاج الى التمهيد تحميلاً لهذا المشروع العظيم . ومن الضروري لكي ينجح مشروعنا ان لا يكون هناك سبب للشقاق والقطيعة وما دامت مسألة العاصمة لا تزال باقية معلقة فان الخلاف والشقاق سيستمران بين الولايات الايطالية

ومن السهل ان نعرف السبب الذي من اجله يقترح البعض من ذوي الثقافة والنبوغ والنية الحسنة ان تكون العاصمة مدينة

اخرى غير رومية مستندين في ذلك الى اعتبارات فنية او تاريخية او غير ذلك . والكلام في هذا الشأن ممكن الآن ولكن لو كانت رومية هي العاصمة لما استطاع أحد ان يناقش في الموضوع . وحتى اولئك الذين يعارضون في اتخاذ رومية عاصمة الآن لن يعارضوا اذا راوا ان الفكرة قد تحققت . فالوسيلة لحسم النزاع والشقاق بيننا لا يكون الا باعلان رومية عاصمة لاطاليا

ومما يسوءني ان ارى ناساً من الممتازين بالرفعة والنبوغ ومن ذوي الما ثر في الاتحاد الايطالي يجرون هذه المسألة الى مناقشاتهم فيحتاج بعضهم بعضاً بحجج الاطفال

ان مسألة العاصمة اياها السادة ليست من المسائل التي ينظر فيها الى الاعتبارات المناخية أو الجغرافية أو الحربية . ولو كان لهذه الاشياء شان لما كانت لندن عاصمة إنجلترا ولما كانت باريس عاصمة فرنسا . كلا . اما تنتخب العاصمة لاعتبارات ادبية ومشيدة الامة هي التي يجب أن تكون الفاصلة في موضوع كهذا يلصق بها أشد الالتصاق

ففي رومية وحدها قد اجتمعت جميع الظروف التاريخية والذهنية والادبية التي تحتم جعلها عاصمة دولة كبيرة . فرومية هي المدينة الوحيدة التي لها من مآثرها التليد ما يخرجها عن ان تكون بلدة ذات أهمية محلية . فان تاريخها من عهد القياصرة الى اليوم هو تاريخ مدينة تدرت رفعتها اهميتها الى ان تبدو حدودها والى ان تكون احدى عواصم العالم . فافتناعاً بهذه الحقيقة اراني مضطراً الى أن اصرح لكم وللامة والى ان اناشد وطنية كل ايطالي كما اناشد جميع نواب البلاد بوجوب وقف هذا النزاع حتى يتاح

لممثلي امتنا في البلاد الاجنبية ان يعلنوا ان الامة تقرنا على جعل رومية عاصمة الدولة . وأظن ان أولئك الذين يخالفونني لأسباب أعرف قيمتها وحرمتها يرون انني على حق في هذه المسألة . واذكروا اني انا لي مدينة اخرى (تورين) لا أستطيع أن لا ابالي بمشيتها وانه لمن نواث حزنني العميق ان انبيء أهل بلدي بأن ينكروا على انفسهم هذا الامل في جعل بلدتهم مركزاً للحكومة

اجل ايها السادة . اني باعتبار شخصي لست اسر بالذهاب الى رومية . فاني غير حاصل الا على القليل من الذوق الفني . فذلك عند ما اجردني بين اطلال رومية الزخيمة قديمها وحديثها ارثي لبلدي الساذجة الخالية من الخيال والفنون . ولكنني اتق بشيء واحد ألا وهو ان اهل بلدي بما عرفت من خلقهم وبما عرفت من استعدادهم للبذل والتضحية في سبيل انجاح قضية البلاد المتدسة ورغبتهم في التضحية لهذه القضية حتى وقت أن كانت بلدتهم تغزوها الاعداء - اقول اني لست اخشى ان لا ينصروني وانا نائبيهم وأن لا يبذلوا مصالحهم في سبيل ايطاليا المتحدة

وان الامل بأن عاصمة ايطاليا ستكون « المدينة الابدية » بملائي عزاء بان هذه المدينة لن تنسى فضل تلك البلدة التي كانت مهد الحرية والتي غرست فيها غواسها فاثمرت وانتشرت فروعها من جزيرة صقلية الى جبال الالب

لقد قلت وأعيد قولي بأن رومية ورومية فقط يجب ان تكون عاصمة ايطاليا

خطبة لمازيني

كانت ايطاليا قبل أن تتحد وتصير مملكة واحدة بحكمها برلمان على رأسه الملك فكتور عمانوئيل جزءاً من الامبراطورية النمساوية وغناً مقسماً بين أمرائها يسام أهلها الخسف ويجرعون كؤوس الدل حتى قبضت لها الافدار ثلاثة من رجالها هم كافور وغاريبالدي ومازيني فنهضوا بالامة ونشروا لواء الاتحاد فانضوى اليه جميع ابنائها وقامت الحرب بين الفاصبين الاقوياء وبين الوطنيين الضعفاء . فوجد الوطنيون من حقهم قوة تغلبت به على باطل الفاصبين فانهمزوا وتركوا الحق لذويه والوطن لاهله . وكان مازيني (١٨٠٨ - ١٨٧٢) اخطب الثلاثة . وكان دفاعه عن قضية الوطن بالقلم اكثر مما كان بالسيف . وهذه الخطبة التالية القاها مازيني في ميلان سنة ١٨٤٨ تأييداً لشهداء كوستنسا الذين قتلهم الاعداء ويحاول فيها الخطيب اثارة الوطنية في نفوس ابناء بلاده . قال :

عند ما ندبني شبابكم لكي افوه ببضع كلمات تقديساً لذكر بانديره واخوانه الذين قضوا شهداء في كوستنسا خاמרني الظن بأن بعض الذين سيسمعونني سيمهينون بي وقد أخذهم الغضب قائلين ، « دعنا من رثاء الموتى فإن التكريم الذي يليق بشهداء الحرية هو ان نظفر في المعركة التي شرعوا في القتال فيها . فان كوستنسا التي ماتوا فيها لا تزال مستعبدة والبندقية التي ولدوا فيها لا تزال محوطة بالاعداء . فلنشرع في تحريرهما ولا ندع يمر بأفواهنا قبل تخليصهما سوى كلمات الحرب »

ولكن خطر بيالي شيء آخر . فإني تساءلت : لماذا لم نظفر للآن؟ ثم لماذا بينما نحن نقاتل للاستقلال في الشمال تموت الحرية في الجنوب؟ ثم لماذا بدلاً من أن نقاتل في حرب كان يجب ان نثب وثبة الاسد نحو جبال الالب نرانا الان وقد مضى علينا اربعة اشهر ونحن ندب

دبيب العقرب المترددة قد حيطت بحلقة من النار ؟ وكيف تنقلب نهضة امة قد شملها احساس قوي سريع الى جهد المريض الجازع يتقلب في ياسه من جنب الى جنب ؟

اجل . لو اننا كنا ارتفعنا الى قداسة الفكر الذي مات من اجله هؤلاء الشهداء . ولو كان لواء ايمانهم المقدس يتقدم شباننا نحو المعركة . ولو كنا نحس ذلك الاتحاد الذي كان قويا في قلوبهم . ولو كان هذا الاتحاد يجعل من كل فكر من افكارنا عملا ويخلق من كل عمل من اعمالنا فكراً . ولو كنا ادخرنا كلماتهم الاخيرة في قلوبنا وتعلمنا منهم ان الاستسلام والحرية وحدة لا تنفصل وان الله والامة أو الوطن والانسانية كلمتان لازمتان لكل اناس يسمعون في أن يكونوا امة متحدة . ولو كنا نعرف ان ايطاليا لن تعيش عيشاً حراً حتى تصير مملكة واحدة يزيها حبها لابنائها والمساواة التي تشهرونها ويعلمونها احترامها للحق الابدي وتستغرق مجهدياتها الاماني العاليا فنصير بذلك اشبه بكنيسة اديبة بين امم اوربا . اجل . لو فعلنا ذلك لما كنا الآن في حرب بل لكان النصر يرفرف علينا . ولما كانت كوستنسا تحتفل بشهادتها خفية وسراً ولما كانت منعت البندقية من اقامة اثر لذكراهم . ولكنا الآن نهتف لاسمائهم لا نحامرنا الشك في مستقبلنا ومصيرنا ولا نخفنا سحابات الكاذبة . ولكننا الآن نقول لأرواحهم : « اتمتعوا فان ارواحكم قد تجسدت في اخوانكم . فهم جديرون بكم »

ان الفكرة التي عبدوها لم تشرق للآن على اعلامكم بطهارتها وكاملها . وهذا البرنامج السامي الذي خلفه للجيل الايطالي الناشئ هو برنامجكم . ولكن المذاهب الكاذبة المنبوذة التي سكنت الى

قلوبكم قد شوهت هذا البرنامج بل فتنه ومزقته اربا . واني التفت ذات اليمين وذات الشمال فأرى جهود الجماعات وتفانيها وهي تتراوح بين الغضب تسخو فيه بنفوسها وبين الدعة تطمئن اليها فتزل عن مقامها . وما هو ان نسمع صوت الحرية حتى تطن في آذاننا كلمات العبودية . ولكن اين هي نفس الامة ؟ واين هو الاتحاد في هذه الحركة المختلفة الاشكال والجهود ؟ بل اين هي الكلمة التي يجب أن تسود على جميع النصائح التي تسدى الى الجمهور لاستهوائه أو استغوائه ؟ فاني أسمع أقوالا وعبارات هي بمثابة الافتئات على سيادة الامة . فهناك من يقول : « ايطاليا الشمالية » او « عصبة الولايات » او « اتحاد الامراء » ولكن ايطاليا أين هي ؟ اين هي البلاد التي تجمعنا والتي حيا فيها شهيدا بنديره ... ؟ اننا ونحن في نشوة الانتصارات الاولى قد نسينا المستقبل ونسينا معه تلك الفكرة التي ألهمها الله اولئك الذين تألموا . وقد عاقبنا الله على نسياننا بتأخير انتصارنا . واذكروا يا اخواني ان هذه الحركة الايطالية هي بحكم الله حركة اوربا بأجمعها فاننا نهضنا لكي نسدي الى العالم الاوربي ضمانا لتقدمه الادبي . ولكن لا يمكن احياء أمتنا ورميها بالاكاذيب السياسية أو اطماع الاسر المالكة أو نظريات الوصوليين . وذلك لأن الانسانية انما تحيا وتتحرك بالايمان وما المبادئ العليا الا نجوم هدى ترشد اوربا نحو المستقبل . فلتوجه نحو اجدات اولئك الشهداء الذين ماتوا في سبيلنا ولتستلهمهم نجد في عبادة ايمانهم سر الظفر والانتصار

الا ان ملائكة الظفر وملائكة الاستشهاد اخوة واما ينظر الاولون الى الارض ويتطلع الآخرون نحو السماء وعندما يحين

الحين وتتلاقى نظراتهما بين الارض والسما يزدان هذا العالم بحياة جديدة اذ ينهض شعب من مهد القبور . . .

احبوا ايها الشبان المثل الاعلى . احبوه واكرموه . فان المثل الاعلى هو كلمة الله . ففوق جميع الاقطار بل فوق الانسانية يوجد الوطن الروحي . مدينة النفس . حيث يؤمن الجميع بحرمة الفكر وكرامة النفس الخالدة وهم بهذا الايمان اخوان . وسبيل هذا الاخاء هو الاستشهاد . ومن هذا المستوى الاعلى تصدر المبادئ التي يكون بها فداء الامم . فانهمضوا لأجل هذا المثل الاعلى ولا تجعلوا سبب نهضتكم نقاد صبركم أو آلامكم أو خوفكم من المكاره . واذكروا ان الفضب والكبرياء والطمع وشهوة الثراء عدة الغالب والمغلوب على السراء . وانهم لو هزمتهم عدوكم بهذه العدة اليوم فانكم مهزومون بها في الغد وانما ميزتكم في المبادئ اذ ليس لعدوكم سلاح يفلها . وعليكم ان تعزدوا الى حماسكم الاولى والى احلام نفوسكم العذراء ورؤيا شبابكم الاول اذ فيها روائج الجنة التي تبقى في النفس من لدن نقضها الله فيها . واحترموا فوق كل شيء ضميركم ولا تنطقوا الا بالحق الذي زرعه الله في قلوبكم وارفعوا العلم الذي يعلن ايمانكم عند ما تشتغلون مع غيركم لتحرير ارض الوطن

ان ما اقوله لكم هو ما كان يقوله لكم شهداء كوسانتسا لو كانوا للآن احياء بينكم والآن اشعركا ان هاتفا من ارواحهم قد استجاب الى حينا فهي الآن تطيف بنا فادعوكم الى ضم هذه الارواح اليكم كثرأ تدخرونه في وسط هذه العواصف التي تهددكم والتي ستنقلب عليها بقررة اسمائهم التي تلفظ بها شفاها وایمانهم الذي يعمر قلوبنا كان الله معكم ولتنزل بركانه على ايطاليا

خطبة لبت

كان وليه بت (١٧٥٩ — ١٨٠٦) خطيباً وابن خطيب نزع به العرق
الدساس الى احترام حرفة والده لورد تشام فصار زعيماً سياسياً كبيراً
وخطيباً مصقلاً . وكانت مهمته التي ارصد لها حياته ووقف عليها بمجهوداته
مكافحة نابليون . فقد الب على هذا الجبار الفرنسي دول اوربا وهياً له
الجوش والاساطيل . ولا يعلم ماذا كان يكون مصير العالم لو لم يحضد
بت شوكة نابليون في بدايتها

وقد القى هذه الخطبة عن « الخطر الفرنسي » بمناسبة الشطاط الذي
تناهت اليه الثورة الفرنسية وانتصارات نابليون الحربية . وكان البرلمان
الانجليزي قد تهيأ لمحق روسيا اذاعة لكي تخلص اوربا من فرنسا . قال
امام اغضاء البرلمان الانجليزي :

ان لنا من عزة النفس والولاء السامي وسجاجة الخلق وشرف
الروح ما يعمر قلوبنا ويملاً نفوسنا بهجة فتمتاز بذلك على سائر
الأمم ونجد في هذه الصناعات ضماناً يؤمن بلادنا ويجعلها في حرز من
من غزو المعتدين . اما بخصوص هذا الشيء الذي يفتأ بال بعض
الاعضاء - وهو تخليص اوربا - فاني لن اسهب في ذكر تفاصيله .
فلن اقول انه يجب تخليص اوربا مما تعانيه الآن او مما تنتظر
وقوعه في المستقبل او من عدوى المبادئ الكاذبة او من هموم
هذا الزمن القاتلة او من انحلال الحكومات وموت الاديان وتهدم
النظم الاجتماعية وغير ذلك مما سيلازم انتصار الجمهورية الفرنسية -
اذا كانت اسوء حظ البشر ستنتصر على الرغم مما يصرف من الجهود
في مكافحتها . كلا لن اقول مم يجب تنجية اوربا وتخليصها لأنه من
السهل ان يجمع الانسان جميع الاخطار التي تتعرض لها اوربا
فيجد انها بأجمعها عائدة الى وجود الحكومة الفرنسية وقوتها .

مواذا كان ثمت من يصرح بأن هذه الحكومة ليست جائرة فهو مخطئ، اشد الخطا وجاهل يجهل حقيقة هذه الحكومة . ان جورها هائل كريبه تقبض على حياة الخاضعين لها و ثروتهم فتتصرف بها وتبذلها ضخمة لاطماعها وقسوتها وظلمها . ان هذه الجمهورية الفرنسية قد حيظت بسياس من الجرائم وهي انما تحتفظ بوجودها الآن لأنه ينظر اليها بين الخوف والرهبة فلا يقترب من حصونها الكافرة احد الا ويرد فازعا

وعلى هذا المبدأ لا أظن أن العضو الموقر يخالفني في أن تأمين بلادنا هو غاية هذا الكفاح الشرعية . وفي هذا القدر ما يكفي لجمال كلامي مفهوما . اما سؤال العضو الموقر : « هل تريد الحكومة متابعة الحرب حتى تنهزم الجمهورية الفرنسية ؟ وهل نيتها ألا تعامل فرنسا مادامت جمهورية ؟ » فجوابي الصريح عليه اني اقول ان آرائي تعدو حدود البلاد الفرنسية . فاني افكر في سلوك فرنسا ومبادئها وخلقتها . وانظر في هذه الاشياء فارى فيها خراب الامم التي حالت هذه الحكومة . وعلى ذلك اقول انه ما دامت هذه الكتلة الضخمة المؤلفة من الجنون لم تتغير تزيراً كاملاً . وما دام خلق هذه الحكومة باقياً كما هو . وما دمت لا استطيع ان اقول وانا مؤيد براي جميع الناس ان فرنسا لم تعد تزدرى حقوق الامم الاخرى . وانها لا تدبر التدابير لبناء امبراطورية كبيرة . وانها قد اهتدت الى حكومة تحتفظ بهذه العلاقات التي بينها وبين الامم الاخرى والتي لا يمكن اقواماً متحضرين ان يعيشوا آمنين بدونها والتي هي ايضاً مصدر مجدهم وذكرهم - اقول اننا لا يمكننا ان

تتعامل مع فرنسا ما دامت هذه الشروط غير متوافرة ذبها
والوقت الملائم للمناقشة في الصلح هو الوقت الذي يمكنكم
فيه أن تتقوا بالوصول الى صلح شريف يعيد الى اوربا نظامها
القديم متزناً وطيداً ويعيد الى كل دولة تدخل في المفاوضات تلك
المكانة التي تضمن استقلالها كما تضمن الامن العام في اوربا
هذا هو اعتقادي الذي لا أخشى الجدير به اعرضه على اذهان
الطبقات المفكرة في العالم البشري . فاذا لم تكن قد سمعتمهم السفسفنة
الفرنسية وأزاعت ابصارهم فاني واثق من انهم سينكروني في
اصراري على خطتي . واني ارجو رجاء حاراً ان تنظر الدول
المشتبكة في هذا الكفاح الى هذا الموضوع كما نظرت اليه . وارجو
على الخصوص ان يكون هذا هو نظر امبراطور روسيا وهو ما لا
اشك فيه . وعلى ذلك اطلب من هذا المجلس ان يوافق على المشروع
الذي عرضته حكومة جلالة الملك بخصوص اعانة روسيا

خطبة لولبرفورس

كان ولبرفورس (١٧٥٩ — ١٨٣٣) أحد أعضاء البرلمان الانجليزي
وقد أرسد حياته لغرض واحد لم يعبه الى غيره استغرق جهوده فطاش لهذا
الغرض ومات بعد أن تحقق أكثره ولم يبق الا أقله . فقد قام في ذهنه منذ
صباه أن الرق جور بالغ يجب قمه ومحوه . وكان الزنوج في انجلترا الى عهده
« عبيداً » يباعون ويشترىون ببيع الساع . فقضى ولبرفورس عشرين سنة في
اقتناع الامة والبرلمان بضرر النخاسة حتى اقتنع كلاهما بصحة مذهبه . فالتى
البرلمان الرق في سنة ١٨٠٧ . ثم أخذ في اقتناع الامة بضرر النخاسة في
المستعمرات . وعرض مشروع الالغاء في البرلمان وقرىء التراءة الثانية ثم لم

بعض ثلاثة أيام حتى مات ولبرفورس . والقطعة التالية مختارة من احدى خطبه عن الغاء الرق . قال :

اني مقتنع بأنه مهما اختلفت آراؤنا فاننا اليوم متفقون بمجموع .
فاني لا أستطيع ان أعتقد بأن مجلس العموم الانجليزي سيصدق
على هذه التجارة الجهنمية أعني تجارة الرقيق في أفريقيا . لقد مضى
سلينا وقت جيلنا فيه طبيعة هذه التجارة ولكنها قد تكشنت
لنا أساليبها الآن وظهرت عارية بجميع صنوف فظائعها . والحق
أنه لم يظهر في العالم نظام شبيه بهذه التجارة من حيث أنها حافزة
بالقسوة والشر . فهي تصل الى أبعد مدى في العدوان الملح والشر
المصنفي وهي تستهين بالمزاحمة وتجل عن المقارنة لانها فريدة في
تفوقها الممقوت

ولكنني يا سيدي الرئيس أراني مغتبطاً اذ تقدم الجمهور
البريطاني في هذه الفرصة وأعلن عن شعوره بوجه صريح بعيد
عن الابهام في هذا الشأن . ولست أستطيع الأداء عما خامرني من
السرور لفوز قضيتنا حتى صارت الأمة تنظر الى مسعانا بنظر
الموافقة والود بدلا من المقاومة وعدم الثقة السابقين . وقد كان من
أثر هذا الشعور أن ارتفع المستوى الأدبي في البرلمان . اذ مهما ظن
الناس او تحدثوا عن الخلافات الحزبية في البرلمان وتنشئها
تفشيأ مطلقاً فإن الأمة البريطانية بل سائر الأمم المجددة بنا قد
عرفت بأن هناك من الموضوعات ما هو فوق الأحزاب . فهناك
الرباوة العليا التي ترتفع اليها بعيدين عن هذه النزاعات والخللات
التي يثيرها سافي السهول . واذا كنا نعيش ونحيا في جو حاد
بالأنفجرة والسحب تلعب بنا الاف الرياح المتعاكسة والتيارات

المتضادة فاننا في هذه القضية نحيا الآن في طبقة عليا يكتنفها هواء صاف هادى. نقي قد خلص اليها من كل ما يثير القلاقل « كالصخرة العصماء ترتفع مشمخة نحو السماء فلا يبلغ مجهود العاصفة أن ينال نصفها . تطيف بها حول صدرها سحب تمخر الأجواء ولكنها لن تبلغ الرأس حيث أشعة الشمس الأبدية قد استقرت واطمأنت » فعلى هذه الرابوة العليا اذن يجب ان نبني « كعبة » الخير والبر وعلينا ان نوطد الأساس في الحق والعدالة وليكن منقوشاً على بابها « السلام والبر لجميع الناس » وهنا يجب ان تقدم باكورة نجاحنا وان نرصد حياتنا لخدمة هؤلاء التعساء تضطرم في احشائنا حماسة سخية تقتضي منا اصلاح ما جلبناه من الأذى على هؤلاء المساكين . فلنأسون الجراح التي فتحناها . ولنبتهج بأننا الوسيلة السعيدة لوقف السلب والخراب وبأننا قد ادخلنا الى تلك البلاد المترامية الأطراف بركات المسيحية ورفاهيات المتحضرين وحلاوة الحياة الاجتماعية . واعتقادي انه ليس بين من يسمعي من لا يرحب بقدوم هذا العصر السعيد ومن لا يشعر راحة العقل وسلوى النفس عند ما يفكر ويتأمل في هذه الخواطر الجميلة

خطبة لانجرسول

يعد انجرسول (١٨٣٣ — ١٨٩٩) من الطبقة الاولى بين مفكري الاميريكيين وخطبائهم وكان من خصوم المسيحية ولكنه كان على الرغم من ذلك محبوباً من الجماهير يتوافدون لسماع خطبه فيأخذ في اقناعهم (أو اغوائهم ؟) حقاً، يستهويهم بالفاظ وعبارات « لها انفاث الموسيقى وايقاع الاشعار حتى ليكاد نثره يقرأ شعراً لما في تأليف جملة من الايقاع . » وهو مع كفره بالادبان ليس في اللغة الانجليزية من الخطب ما هو أحفل بالروح الدينية من خطبة القاها

هند وفاة أخيه تنبض بالمعطف والمحبة وتثبت أن انجرسول كان يؤمن بالحياة
الآخري . قال :

اخواني . اني سأفعل الآن ما وعدني به كثيراً هذا الفقيد ان
يفعله لي . هذا الفقيد الذي كان أخاً وزوجاً وأباً فمات في ضحوة
الرجولة ولما يبلغ ظهيرتها والظل لما يزل يميل الى الغرب
انه لم يحز في طريق الحياة تلك الأعلام التي تدل على انه قد
بلغ اقصاها ولكن شغل بالالعباء فانتحى جانباً من الطريق والتي
عبثه على الأرض متوسداً اياه فأخذه نوم لا تذكره احلام واطبق
جفنيه . فمات وذهب الى عالم صامت عالم التراب وهو بعد متعلق
بالحياة يطرب للعالم

ولعله من المفضل الأحسن ان تصطدم السفينة بالصخرة
المختفية فتفوق في لحظة الى القرار تحت الأمواج المصطخبة
والسفينة بعد في اسعد ساعات سفرتها تقبل الرياح اشرعتها
وتسكب الشمس اشعتها عليها لأن مصير السفينة الى التحطم سواء
أكان ذلك في ارض الساحل ام في وسط البحر . وكل حياة بغض
النظر عما اذا كانت حافلة بالحب مزدانة بالسرور تنتهي في الختام
الى مأساة بها من الحزن والظلام ما هو حري بأن ينسج من لحمه
الموت وسداه

لقد كان هذا الرجل الشجاع الرحم صخرة وسندياناً اذا
عصفت عواصف الحياة ولكنه كان زهراً وكرماً اذا انجابت السحب
وصحت السماء . وكان صديقاً للنفوس الجريئة يرتفع الى القمم
وينبذ تحت قدميه الخرافات بينما كان يتفجر من جبهته فجر ذهبي
لمصر رائح

كان يعشق الجمال وكانت تنهمل دموعه اذا ما مس نفسه جمال اللون أو جمال الشكل أو روعة الموسيقى وكان ينصر الضعيف والمسكين والمظلوم ويسط يده برأ بالفقراء . وقد ادى ما عهد اليه من الخدمات العمومية بقلب ولي ويد طاهرة

وكان من عباد الحرية واصدقاء المظلومين . وكمن مرة سمعته وهو ينشد هذه الانشودة : « لاجل العدالة اقيموا كلكم معبداً » وكان يؤمن بأن السعادة هي خير ما في العالم وأن العقل هو الشعلة الوحيدة وان العدالة هي احق ما يعبد وان الانسانية اليق الاديان والمحبة افضل الكهان . فكان وجوده مما يزيد افراح اصدقائه ولو ان جميع الذين افادوا منه مصلحة حضروا اليوم الى قبره واهدى كل منهم اليه زهرة لنام هذه الليلة تحت عرم من الازهار

ان الحياة واد ضيق بين جبلين قاحلين من الابدية . ونحن انما نحاول عبثاً ان نخترق بصرنا هذين الجبلين . ونصيح صيحات عالية فلا يسمينا غير صدى اصواتنا . ومن شفاء الموتى الخرساء لا تخرج لنا كلمة ولكن في ليل الموت هذا يرى الامل نجما . ويسمع الحب المنصت خفيف الاجنحة

وهذا الذي ينام الآن امامكم نوم الموت شمر وهو في النزع باقتراب الموت نخاله عودة الصحة فهمس كلمته الاخيرة : « حالي احسن الآن » فلنؤمن على الرغم من الشكوك والتحكات والمخاوف والدموع ان هذه الكلمات العزيزة تصدق على جميع الموتى

واليكم انتم المصطفون من الاصدقاء الكثيرين الذين كان يحبهم وقد جنتم الان لكي تؤدوا هذه المهمة الاخيرة للفقيد تقدم رماده

خطبة لما كولي

كان ما كولي (١٨٠٠ - ١٨٥٩) من ادباء انجلترا المدودين « ما مس شيئاً الا زانه . فليس هناك ما يضارع ما كتبه ما كولي من المقالات الساحرة المتوهجة . وليس هناك من التواريخ مثلما الفه ما كولي من حيث القدرة على فتنة القارئ . وقد قيل عن اسلوبه انه يتم بالقوة والنشاط والجزالة والوضوح وفوق ذلك تلك السمة التي قل وجودها الان وهي صحة اللغة »

وقد القى الخطبة التالية في سنة ١٨٤٦ عن « المعارف السطحية » قال :
ان من الناس الذين احب أن أتكلم عنهم بالاحترام والوقار من تعذريه المخاوف التي لا اساس لها عما يسمونه « المعارف السطحية » فهم يقولون ان المعارف الجديرة بأن تسمى بهذا الاسم هي من البركات الانسانية وهي حليفة الفضيلة وبشيرة الحرية ولكن مثل هذه المعارف يجب أن تكون عميقة . فالجماعة التي قد شدت طرفاً من الرياضيات وطرفاً آخر من الهيئة وآخر من الكيمياء وقرأت شيئاً من الشعر وأصابت شيئاً آخر من التاريخ — مثل هذه الجماعة يقولون عنها أن وجودها مخطر بالمصلحة العامة . فالمعرفة السطحية في رأيهم شر من الجهل . وهم يستندون في زعمهم هذا الى قول بوب « اشرب حتى ترتوي والا فلا تذق » فالجرعة الصغيرة تسكر ولكن من عبّ افاق . . . واني اعترف بان هذه التخوفات لم تعترني يوماً ما وهذه الطمأنينة انما يبعثني عليها عدم استطاعتي التمييز بين المعرفة السطحية والمعرفة العميقة لانه ليس عندنا من المعايير ما نقيس به عمق المعارف . والقائلون بهذا التمييز يتوهمون وجود حد فاصل بين العميق والسطحي من المعارف

اشبه شيء بالحد الفاصل بين الحق والباطل . اما انا فلست اجنوب
هذا الحد . هبنا تحدثنا عن رجال العلم العميق فهل نعني بذلك انهم
قد بلنوا قرار العلم ؟ هل نعني انهم قد عرفوا كل ما يمكن معرفته ؟
بل هل نحن نعني انهم يعرفون الآن ما سيعرفه المبتدئون من الجيل
القادم ؟ اننا اذا قارنا بين الحقائق القليلة التي نعرفها وبين ما نجهل
من الحقائق التي لا نحصى لا اعترفنا بأننا كلنا سطحيون وللكان
فلاسفتنا أول من يقر بأنهم سطحيون . ولو فرضنا اننا سألنا عالماً
مثل نيوتن عما اذا كان يعتد معارفه عميقة حتى في تلك العلوم التي
لم يكن له فيها منافس لأخبرنا بان حاله كحالتنا . فكلانا مبتدئ .
وهذا الفرق الذي بيننا وبينه يزول عند ما يقارن بمقدار الحقائق
التي لا تزال مجهولة . كما يزول الفرق بين الواقف في سنج الجبل
والواقف على القمة اذا قورن بالمسافة التي تفصل الجبل عن
النجوم الناجية

فيظهر لكم من ذلك أن أولئك الذين يخشون المعارف السطحية
لا يعنون بتلك المعارف ما يمكن ان يسمى سطحيًا عند المقارنة بما
لا يزال مجهولاً . لأن جميع المعلومات الانسانية كانت ولا تزال
وستكون سطحية اذا نحن قصدنا الى هذا المعنى . فما هو اذن المقياس
الذي يصح ان نتخذة لقياس المعارف وهل يجب أن يكون
واحداً في جميع البلدان وفي جميع الاوقات

لقد كان « راموهون روى » يعد بين الهنود من اعرق الناس
معرفة بالثقافة الغربية على انه لو وجد في هذا المهد لعد من
السطحيين الذين لا يؤبه لهم . وكان سترابو يعد بحق منذ ثمانية عشر
قرناً من اعرق الجغرافيين في حين ان المعلم الذي يجهل اسم اميركا الان

يكون مضحكة بين البنات . وماذا تقول الان عن معارف عظماء الكيمائيين في سنة ١٧٤٦ أو عظماء الجيولوجيين في سنة ١٧٤٦ ؟
فالحقيقة الراهنة ان الانسان من حيث العلوم التدريسية في تقدم مطرد . ولكل جيل بالطبع صفوفه المتقدمة وصفوفه المتأخرة ولكن الصفوف المتأخرة في الجيل الجديد تأخذ مكان الصفوف المتقدمة في الجيل السابق

انكم تذكرون قصه جوليفر . فقد تحطمت به سفينته في بلاد يسكنها اقزام صغار فكان بينهم عملاقاً يخطو على اسوار عاصمتهم واذا انتصب فاق طول قامته منائر معايدهم . فكان يحجر اسطولا ملوكياً وكان عد ساقه فيمر تحتها جيش الملك يحمل الرايات ويدق الطبول . فاذا افطر ألهم احد اهرائهم واذا تعشى اكل قطيعاً من مواشهم فاذا عطش عمد الى دنان النبيذ فشر بها جملة . ثم يسبح سياحته الثانية فيجد نفسه بين اناس يبلغ احداهم في القامة ستين قدماً فيبينما كان يحتاج وهو في بلاد الاقزام الى ان يحمل الناس على يديه ويضعهم عند اذنه لكي يسمع ما يتمولونه له اذا به تفعل به العمالقة ما كان يفعله مع اولئك الاقزام . يتفرج السيدات بمشاهدته وهو يتمائل الجرذان والضفادع والزناير . ثم يأتي قرد فيختطفه ويتسلق به احدى المداخن فاذا بلغ القمة ارداه فيقع في صحفة من القشده يسبح فيها ويخرج ناجياً بنفسه

لقد كان هذا الرجل في بلدته الأصلية مثل سائر الناس ذا قامة اعتيادية فلما صار في بلاد الاقزام صار عملاقا وعاد قزما بين العماليق . وهكذا الحال في العلوم . فعمالقة احد المصهور قد يكونون اقزام عصر آخر

خطبة للورد رسل

كان لورد جون رسل (١٧٩٢ — ١٨٧٨) أحد رؤساء الوزارة الانجليزية وكان من أكبر زعماء حزب الاحرار في القرن التاسع عشر تحت رايته نشأ غلادستون وعلى يديه اشتد ساعد الاحرار حتى صاروا قوة يحسب لها المحافظون حسابها . ومن مآثره اصلاح طارق الانتخاب للبرلمان وكانت الاصوات تباع في زمنه بالنقد جهراً وكانت دواثرها لا تتناسب عدداً ومن ينتخب منها . وهو أيضاً صاحب الفضل في الناء المكوس الجمركية على الحبوب الواردة لانجلترا

وكان في الخطابة وسطاً لا يأتي بالدون ولا يرتفع الى الحيد الباصع ولكن خطبه كثيرة وأكثرها يتماق بالشئون السياسية . وقد اتى الخطبة التالية في معهد الميكانيكيين في ليدس وموضوعها « قيمة الصدق في الاداب » قال :

ان سمة هذا الموضوع نجعلني اشعر بضيق الوقت اذا حاولت ان ابحث بعض فروعه . ولكن لي كلمة اجدني جريئاً على ان اقولها لكم وهي جديرة بان يعتبرها كل من يتصدى لدرس الآداب . ففي الادب عدد لا يحصى من التأليف تختلف من حيث الذوق ومن حيث الصيغة . فمنها الرزين ومنها الزاهي . ومنها ما يتطوح مع الخيال ومنها ما لا يحيد عن المنطق . ولكنها جميعها تحتاج الى شرط واحد هو في اعتقادي شمول الصدق لها . لقد قال أحد المؤلفين الفرنسيين ان الجمال ليس سوى الحقيقة وان الحقيقة وحدها هي الجميلة وان الحقيقة يجب ان تنبسط على الاساطير الخيالية . وهذا قول حق . لأنني أعتقد انه لا يمكننا أن نقيس الادب الخيالي وننقده تمام النقد الا اذا صدق تمثيله للطبيعة ولعل أحسن الافصاح عما اريد اذا ضربت لكم مثلاً او

مُثلين . فقد عاش في القرن الماضي شاعر قد ذاع صيته واشتهر بحق
بجزالة الخيال وقوة الاحساس أعني به : ينج . فانه على الرغم من
مواهبه لم يكن موفقاً في صدق الاداء . فقد قال في احدى
قصائده : « ان النوم مثل هذه الدنيا سريع الى زيارة من يسم
لهم الحظ . بينما هو يهجر البائسين . ولا يقع الا على الجفون التي
لم تذكرها الدموع »

فاذا انتم حققتم النظر في هذه الكلمات رأيتم ان الشاعر قد خلط
شيئين معا . فتد خلط بين اولئك المجدودين الذين نالوا حظهم
من هدوء البال وكمال العافية وبين اولئك المجدودين الذين حصلوا
على الثراء . فانظروا الآن معي تجدوا ان اولئك الذين لم ينالوا حظهم
من هذه الدنيا ورأوها قد تنكرت لهم والذين لم يتسم لهم الحظ
يهاون بالنوم اللذيد أكثر مما يهاون به من يفوقونهم رتبة او ثروة

ولا شك في انكم تذكرون شاعراً آخر صادق التمثيل للطبيعة
أعني به شكسبير . فهو يذكر في احدى قصائده بحاراً صغيراً قد
اخذه النوم وهو في مكانه المزروع على الصاري تحفه رياح العاصفة .
بينما الملك لا يستطيع النوم في فراشه الوثير . فهذا هو الشاعر الذي
لا يعدو حقائق الطبيعة

فاذا أنتم نظرتُم في هذه الاعتبارات وقسم الشعر بهذا المقياس
وعولتم عليه ايضاً في درس التاريخ وغيره حصلت لكم قوة التميز
وصرتم على بينة مما تقرأون فتعرفون عندئذ ما اذا كان جديراً
باتبهاكم واعجابكم او انه كثير الاغلاط غير جدير بالالتفات

خطبة للورد بيكونسفيلد

كان بيكونسفيلد (١٨٠٥ - ١٨٨١) يهودياً « طالب دنيا » نشأ على دين موسى فرأى اهل ملته مكروهين محرومين من بعض الحقوق المدنية فتقمص بلباس المسيحية ودخل البرلمان . فكان قريب غلادستون . كلاهما على طرفي نقيض وكلاهما يرمي الى غاية تختلف عن غاية الآخر . كان غلادستون حراً يقول بالديمقراطية . مسيحياً يخلص الايمان للمسيحية . وكان رجل ايثار ونبل في العواطف اذا احتاجته فاضت على لسانه وحياً يستطير لب الانجليز فيأثمرون بما أمر وينتهون بما نهى . وكان بيكونسفيلد على عكس ذلك . كان محافظاً يكره الديمقراطية ويخشها . يهودي القلب في مسلخ المسيحي . لم يكن للعواطف عنده شأن تدفعه اثرته الى تجشم المشاق لكي يرضي كبرياءه . فكان لذلك يتخذ هيئة خاصة في لباسه وفي مشيته يروض نفسه على الكتابة والخطابة حتى بلغ فيها شأواً عظيماً . ولم يكن المثل الاعلى في جميع أطوار حياته غايته لانه لم يكن له من غاية سوى مصلحته الذاتية . ولو لم يعيش في القرن التاسع عشر لكان هذا القرن خيراً واحسن أثراً في السياسة للشرق والغرب مما كان . فهو الذي جاهد غلادستون في منح ايرلندا استقلالها . والاستعماريون الانجليز يذكرون ويشكرون له صنيعه في جعل ملكة انجلترا « امبراطورة » على الهند

قال في احدي خطبه عن « اخطار الديمقراطية » :

اعتقد انه من الميسور أن نزيد عدد الناخبين في البلاد اذا بنينا هذه الزيادة على مبادئ لا تتعارض ومبادئ الدستور فلا يكون الانتخاب من حقوق الافراد بل امتيازاً يمتاز به الفرد لما اكتسبه من فضائل او لما له من ذكاء أو اجتهاد او استقامة ويستعمله للمصلحة العامة . فاذا أنتم اطرحتم هذه القاعدة ورضيتم بالنظرية القائلة بان لكل شخص الحق في الانتخاب ما دام لم تحكم عليه أحكام تحرمة هذا الحق فانكم بهذا العمل تهدمون أساس الدستور وتهدمونه بكيفية تستقط كرامة الامة

ان بين المشروع الذي عرضناه وبين ذاك الذي عرضه العضو المحترم فرق ما بين الحكومة الارستقراطية اي الحكومة المؤلفة من نخبة الامة وبين الحكومة الديمقراطية . واني أرتاب كثيرا في ما اذا كانت الديمقراطية توافق هذه البلاد . ومن حق هذا المجلس ان يعرف عند النظر في هذا المشروع ان ما يدعى اليه انما هو الاختيار بين المحافظة على الدستور الراهن أو قبول الديمقراطية وعلى المجلس أن يتذكر أن ما يعرض عليه الآن له قيمته من النمن . فان شعبنا له صفات خاصة . وليس في العالم الآن أمة تعيش في مثل الظروف التي نعيش فيها . مثال ذلك ان لنا كنيسة قوية قديمة ذات اوقاف ثمينة ومع ذلك نعيش في حرية دينية تامة . ولنا نظام لا يختل ترافقه حرية مستوفاة . وعندنا ضياع واسعة تشبه ضياع الرومانيين ومع ذلك لنا نظام تجاري يفوق ما كان للبندقية وقرطاجنة مجموعتين . ومع هذه المتناقضات وهذه الخواص التي تتسم بها بلادنا نعيش في كنف حكومة لا تعتمد على القوة . فليس لنا جيوش مرابطة . كلا انما نحن نحكمنا مجموعة من التقاليد القديمة التي احتفظ بها آباؤنا جيلا بعد جيل علماً منهم بأنها تخلد العادات وتقوم مقام القوانين وماذا فعلنا بهذه التقاليد ؟ أنشأنا بها أكبر امبراطورية في العصر الحاضر . وجمعنا من رؤوس الأموال مقادير تشبه ما يذكر في الأساطير . وأنشأنا نظاماً من الاعتماد في الصناعة والعمل ليس له شبيه في التاريخ من حيث السعة والتراكم . وهذه الأعمال العظيمة لا تتناسب وثروة البلاد وعناصرها الأصلية . فاذا أنتم هدمتم اساس هذه العظمة فاذكروا أن انجلترا لا يسعها ان تبدأ من جديد إن هناك بلاداً قد قاست آلاماً مبرحة وتعرضت لأخطار

هائلة . ها كم الولايات المتحدة التي نزلت بها من المحن في أيامها
هذه ما سمعتم عنه . فقد رأيتم هناك حرباً أهلية يتناحرف فيها الاخوان
عاشت مدى أربع سنوات . ولكن هذا الزمن على طوله وعلى ما
كان فيه من عناء وخراب وكوارث لم يكن ليمنع الولايات المتحدة من
البدء ثانياً لأنها في حال تشبه تلك الحال التي كان يعيش فيها أسلافنا
في حرب الورود (سنة ١٤٥٥) عند ما كان السكان لا يزيدون على
ثلاثة ملايين نفس والبلاد تحتوي على ما لا يحصى من الأرض البكر
والكنوز المعدنية التي لم تستغل بل التي لم تكشف بعد . وها كم
فرنسا . فقد قامت في تلك البلاد ثورة في أيامنا هذه غير ثورة أخرى
حدثت في عصر آبائنا . وكانت كلتاها إقتلاباً حقيقية غير قاصر على
تغيير الأحوال السياسية والاجتماعية . فقد أقتلعت مؤسسات الأمة
اقتلاعاً ومحيت فروق الهيئة الاجتماعية بل بلغ التغيير حد ابدال
الاسماء والأعلام . ولكن مع كل ذلك استطاعت فرنسا ان تبدأ
من جديد . وذلك لأن لها متسعاً من الأراضي الزراعية في اوربا
وسكانها كانوا ولا يزالون محدودي العدد يعيشون عيشة غاية في
السذاجة

ولكن انجلترا . هذه البلاد التي نعرفها ونعيش فيها ونزهي بها ليس
في مقدورها ان تبدأ من جديد . ولست أعني بذلك انه اذا فشت
في انجلترا القلاقل ذهب حضارتها وأصبحت خراباً يباباً . كلا .
فان ذكاء الامة يعود فيأخذ في الظهور ويبقى شيء من الاخلاق
ولكن انجلترا هذه التي نعهد بها فيها من مآثور الآباء وبأس الابناء
وبما فيها من الاموال والنظم التجارية تزول . . . وأنا ارجو ان

المجلس عند ما يدرك أن المشروع يراد به طعن دستور البلاد لن يأذن بالتقدم خطوة واحدة نحو الديمقراطية إذ عليه ان يحافظ على النظام الحاضر الذي يعيش فيه على أرض إنجلترا

خطبة لغلادستون

تاريخ غلادستون (١٨٠٩ — ١٨٩٨) هو في الواقع تاريخ إنجلترا في القرن التاسع عشر أو على الأقل تاريخها في ثلثيه الاخيرين . فليس هناك مسألة مهمة تتعاقب سياسة البلاد في هذه المدة لم يكن رأيه أثر فيها . وكانت الميزة التي أتمت بها شخصيته وجعلت الشعب الانجليزي ينفذ اليه اخلاصه . فلم يكن يعرف « دهاء » السياسيين أو أساليب المواربة وطرق الغش والتمويه وكان لسانه ترجمان قلبه . « ولم يكن له من يعدله في المناقشات البرلمانية في تاريخ البلاد وكان صوته بطبيعته جيلاً حلوأً قوياً نافذاً يرن على أوتار جميع العواطف وقد كان مرانه الطويل في مجلس العموم سبباً في تنشئة مواهبه الى أقصى حد . وكانت طلاقة لسانه تباع به حداً فاحشاً بحيث تحمله فصاحته أحياناً الى غاية بعيدة ولكن المستمعين له لم يأن يظهر عليهم مع ذلك انهم يسأمون الاصفاء اليه » وقد اخترنا القطعة التالية من خطبة القاها في جلوسجو في سنة ١٨٦٥ عن « الحروب والاستعمار » قال :

إذا رجعنا الى تاريخ الانسان في العصور الاولى نجد انه كان يعيش بلا قوانين تحدد حقوق الافراد فكان اول ما يجول بخاطر الفرد اذا أراد أن يصلح من شئونه ويزيد ثروته ان يغير على جاره وياخذ منه عنوة ما يملك . فكانت القرصنة والغزو في العصور الاولى يقومان مقام الحروب في العصور الحديثة . تسألون لماذا ؟ فلننظر في عبر الحرب

في الحرب فريقان لا يمكن أن يكون كلاهما على صواب بل يمكن أن يكون كلاهما مخطيء . واني اعتقد انه اذا نظر مؤرخ نزيه

في عدد عظيم من الحروب التي نشرت الخراب في العالم - بصرف النظر عن ذلك البمض الذي لا يشك فيه والذي سلت فيه السيوف في شأن الحق والعدل - فإنه يجد ان كثيراً منها قد أثاره الطيش والشهوات والطمع من الجانبيين وان نتائج هذه الحروب كان الندم ولات ساعة مندم عند كلا الفريقين

ففي تاريخ العالم حروب دينية . وقد جزنا نحن هذا الطور . ولكنني لست واثقاً من انه لم يكن لتلك الحروب ما يبررها من التعللات التي نجدها في الحروب الأخرى المدونة في التواريخ . فذلك الجنون الذي قاد الامم الى الحروب الدينية هو الذي ساقها بعد ذلك الى حروب أخرى غير دينية . فقد جرت حروب بين اعضاء الاسر المملوكة ينازل بعضهم بعضاً ويسفكون دماء الامم التي يتقاتلون من أجل الاستئثار بالتسلط عليها . واعتقادي اننا قد جزنا هذا الطور ايضاً . وهناك حروب أبعد مدى وأخطر أثراً مما ذكرنا وهي تلك التي تهاج لأجل التوسع والامتلاك . ولست أشك بان بواعث هذه الحرب طبيعية في الانسان ولكنها بواعث اجرامية خطيرة واني شديد الاسف لما اجد الآن في أيا من الراهنة من ان الرغبة في الامتلاك والتوسع لا تزال حية في قلوب امم تعيش في أقدم بلاد اوربا حضارة

ولكنني أريد أن ألفت نظركم الى الكيفية التي صارت بها هذه الرغبة في الامتلاك والتوسع سبباً في سفك الدماء واثارة الحروب بدرجة تفوق ما كانت عليه قبلاً . فانما كان ذلك وقت أن شرعت الدول الأوروبية في الاستعمار . كأنما قد ظهر لهم ان هذه الدنيا قد ضاقت بهم . لقد كنا ننظر عند ما ننظر الى سعة هذا العالم

مِيعَندَمَا نَجِدُ أَن قَلِيلًا مِنْهُ مَا هُوَ الْآنَ . وَأَقَلُّ مِنْهُ كَانَ مَا هُوَ لَا قَبْلًا مِنْذُ قَرْنٍ أَوْ قَرْنَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ نَرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا يَدْعُو إِلَى الشَّجَارِ لِأَنَّ فِي هَذِهِ السَّعَةِ مَنْدُوحَةٌ عَنْهُ . وَلَكِنْ الْإِسْتِمَارُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ سَبَبًا فِي الْحُرُوبِ الدَّمَوِيَّةِ مَعَ جِيرَانِنَا . وَكَانَ أَسَاسُ هَذِهِ الْحُرُوبِ تِلْكَ الشَّهْوَةُ الْقَدِيمَةُ - شَهْوَةُ التَّوَسُّعِ وَامْتِلَاكِ الْأَرْضِينَ . وَبِمَا أَنَّ أَحْوَالَ أَوْرَبَا كَانَتْ قَدْ اسْتَقَرَّتْ وَاطْمَأْنَنْتْ وَلَمْ تَجِدِ الدُّوَلُ مَتَسِمَةً لِمَرْضَاةِ شَهْوَاتِهَا فِي التَّوَسُّعِ فِيهَا كَمَا كَانَتْ تَجِدُ لَوْ كَانَ الْوَقْتُ وَقْتُ هَمَجِيَّةٍ وَفُوضَى ذَهَبَتْ بِسِلَاحِهَا وَجِيُوشِهَا عِبرَ الْمَحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ فَتَشَبَّثَتْ هُنَاكَ الْحُرُوبُ مِنْ أَجْلِ التَّوَسُّعِ وَالْإِمْتِلَاكِ وَهَذَا كَانَ مِنْ شَرِّ أَغْلَاطِ الْإِنْسَانِ وَإِلَيْهِ تَعَزَّى أَكْثَرُ حُرُوبِ الْقَرْنِ الْمَاضِي . وَلَكِنْ لَوْ عَرَفَ آبَاؤُنَا كَمَا نَعْرِفُ الْآنَ نِعْمَةَ التَّجَارَةِ وَالتَّبَادُلِ الْحُرِّ لِلْبَضَائِعِ لَكَانُوا أَذِنَ فِي غِنَى عَنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْحُرُوبِ .

إِذَا مَاذَا كَانُوا يَقْصِدُونَ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوبِ ؟

كَانُوا يَرْمُونَ إِلَى الْإِسْتِمَارِ وَلَكِنْ الْغَايَةُ الْبَعِيدَةُ الَّتِي كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا فِي الْإِسْتِمَارِ لَمْ تَكُنْ الْإِمْتِلَاكُ فَحَسْبُ وَإِنَّمَا كَانَتْ زِيَادَةُ أَرْبَاحِ الْأُمَّةِ مِنَ التَّجَارَةِ بَيْنَ الْمُسْتَعْمَرَاتِ وَبَيْنَ الدُّوَلِ الْمَالِكَةِ لَهَا . وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ خَطَا الْإِسْتِمَارِ قَاصِرًا عَلَى أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ سَوَاءٌ فِي ارْتِكَابِ هَذَا الْخَطَا

هَكَذَا كَانَ خَطَا اسْبَانِيَا فِي مَكْسِيكَا وَخَطَا الْبَرْتَنَالِ فِي الْبِرَازِيلِ . وَخَطَا فَرَنْسَا فِي كَنْدَا وَلُوِيْزِيَا . وَكَانَ خَطَا أَنْجِلْتَرَا فِي اسْتِعْمَارِهَا الْهِنْدِ الْغَرِبِيَّةِ وَالْمَشْرِقِ . وَكَانَ جَمَاعُ الْخَطَا فِي اعْتِمَادِ الْجَمِيعِ بِأَنَّهُ مَتَى اسْتَعْمَرْتَ أَحَدَى الْبِلَادِ الْقَاصِيَةِ صَارَتْ تِجَارَتُهَا وَارْبَاحُ هَذِهِ التَّجَارَةِ

وقفاً على الدولة المالكة لهذه البلاد دون أن ينال غيرها منها شيئاً . وكانت الحروب نتيجة هذا المذهب . لأن جميع الدول صارت تعتقد ان الاستثمار لا قيمة له ما لم يقصر امتياز التجارة على الدولة المالكة ومستعمراتها . ومن هنا نشأت أطماع الدول في الغارة على مستعمرات غيرها للحصول على هذا الامتياز

لقد قضى ذكاء الانسان المضلل في ذلك الزمن الذي أشرت اليه أن تكون التجارة التي يجب أن تكون سبيل الرابطة بين بني البشر سبباً في إثارة الحروب وتبريرها هنا في بلادنا وغير بلادنا تبررها عند الشروع فيها وتمجد بها عند ختامها فناخذ من الجار مستعمرته ونعتبر هذا العمل توسيعاً للمعاملات التجارية وترقية للصناعة في بلادنا . لقد كان هذا خطأً مخطراً جنوبياً . وهو أحرى بهذه الصفات اذا اعتبرنا اننا نزعم اننا قد اقلعنا عن الطرق القديمة التي مارسها الانسان في العصور الاولى - طرق الغزو والنهب وملنا الى الصلح والسلام . ولكنني أرتاح الآن الى القول بأننا قد افلتنا من هذا الزعم الخادع . أجل ليس من الحكمة ان تفخر على آبائنا . لقد كانت أخطاءهم تنسل اليهم انسلالاً فلا يلحظونها ولا يقدرّون جرائرها . ولعلنا نحن أيضاً في هذا المركز تتسرب الينا الاخطاء فلا نحس بها . وحتيق بنا أن نتواضع عند ما نقارن انفسنا بالبلاد الاجنبية الآن أو بالدول السابقة في العصور الماضية وان نقنع بالحمد عند ما نرى خطأً قد صحح وعلمنا أن نصمم بالألا نعود هذه الاخطاء الى الوجود بل علمنا أن لا نني عن معونة اولئك الذين لا يزالون يعتقدون صحة هذه الاوهام . ولست في حاجة الى القول بمخصوص مستعمراتنا انها لم تعد سبباً في الحروب لاننا قد انتهينا الى الاعتقاد

بأن عظمة هذه البلاد لا تتأكد من حيث العلاقة مع هذه المستعمرات إلا اذا جعلناها تتمتع بجميع الحقوق والميزات التي تتمتع نحن بها . واذا اتفق أن وجدنا عدداً كبيراً من السفن الاميركية تتجر في كالكوته فلن يكون في هذا ما يهيج فينا عواطف الحسد بل على العكس نمتليء سروراً . لان معنى هذا زيادة ثروة الامبراطورية الهندية وسعادة أهلها وكلما زادت هذه الثروة وهذه السعادة عاد علينا ذلك بالربح بواسطة التجارة

خطبة لبسمارك

كان بسمارك (١٨١٥ — ١٨٩٨) « رجل الدم والحديد » جمع شمل الدويلات الالمانية المديدة تحت علم واحد هو علم الامبراطورية بقيادة بروسيا وكان رأسه من أضخم الرؤوس كما ثبت ذلك بعد تشريح جثته عند وفاته . فلما كان ذكاؤه يعزى الى ضخامة هذا الرأس أو لا يعزى اليها فلو اقم أنه كان من أذكى السياسيين . يدس الدسائس ويدبر الحروب بمهارة الالبالة . فغارب دائماركا والنمسا وفرنسا وتغلب عليها وفي سنة ١٨٧١ في عقر دار المهزوم في فرساي توج ملك بروسيا امبراطوراً على المانيا . فلما تولى الامبراطور غليوم (الذي يعيش الان منفياً في هولانده) حسده على عظمته ورأى فيها ما يكسف ضوؤه فأخرجه من الحكومة

والقطعة التالية مختارة من خطبة ألقاها بمناسبة مشروع الدستور الالمانى الذي قدمه البرلمان الثوري ولم يكن هذا المشروع وفق هوى بسمارك لانه لم ينص على سيادة بروسيا . قال :

ايها السادة . لقد آلمني أن أرى هنا بروسين بالحقيقة لا بالاسم فقط يعضدون مشروع الدستور هذا بقوة وحماسة . ولقد شعرت بالهوان والصغار كما يشعر بهما الالوف من أبناء وطني عندما رأيت ممثلي الامراء الذين احترمهم في مقاماتهم الرسمية الشرعية ولكنني

لا أدين لهم بطاعة أو ولاء قد صاروا بهذا الدستور سادة ذوي سلطان . ومما زاد مرارة هذا الشعور اننا في افتتاح المجلس رأينا المعاهد مزينة برايات تخالف رايات الامبراطورية الالمانية بل كانت على العكس من ذلك مدة السنتين الماضيتين شارة الثورة والتمرد . وهي رايات لا يحملها في ولايتنا باستثناء الديمقراطيين سوى الجنود . يحملونها طاعة للأوامر والاسى ملء قلوبهم

أيها السادة . انكم اذا لم ترضوا الروح البروسية في هذا الدستور فاني اعتقد انه سيبقى حبراً على ورق . واذا أنتم حاولتم أن تسوموا البروسيين الاذعان لهذا الدستور فانكم ستجدون منهم ما وجدته الاقدمون من جواد الاسكندر ، بوكيفالوس ، الذي كان يحمل مولاه ويسير به جريئاً مبهتجاً بينما هو كان يقذف الفارس الذي يتطال الى امتطاء عهوته ويلقيه على الرغام يتمرغ بذهبه وفروه وسائر حليه وملابسه . ولكن يعزيني الان اعتقادي الراسخ بأن الوقت لن يطول حتى تنظر الاحزاب المختلفة الى هذا الدستور كما نظر الطبيبان في أسطورة لافونتين الى جثة المريض الذي كانا يعودانه . اذ يقول أحدهم : « لقد مات . ولقد تباأت بذلك منذ رايته » . فيقول الآخر : « لو انه استمع لنصيحتي لما مات »

خطبة لجون برايت

كان جون برايت (١٨١١ - ١٨٨٩) من احرار الانجليز ساعد غلادستون الايمن بعضده في كل مشروعاته وينافح عن سياسته . وكان خطيباً موهباً « قد منحه الله عطية الصوت اذا خطب سمعت منه موسيقى فصيحة تنور الى اعماق الشجن وترتفع الى قم الغضب »

وقد اخترنا القطعة التالية من خطبة له القاها في سنة ١٨٥١ عن عبء
الانظمة الحربية وما تكلف الامم من باهظ النفقات . قال :

اني أعتقد ان عظمة الامة لا تدوم الا اذا ثبتت على أسس
الاداب ولست أبالي بالعظمة الحربية أو الذكر الحربي . وانما
احق بالمبالاة والعناية أفراد الامة التي نعيش في ظهرانها وأحوالهم .
انكم تعرفون انه ليس في انجلترا من هو أبعد مني عن قول السوء
في اللاج والملوكية . ولكن اعلموا ان التيجان والصوؤانات
والابهة الحربية والمستعمرات الواسعة والامبراطوريات العظيمة
هي كلها في رأي هباء كالهواء لا تستحق النظر والاعتبار الا اذا
كانت الأمة حاملة على نصيب كاك من الرفاهية والرضى
والسعادة . فان الأمة لا تتألف من القصور والآطام والابهاء
والدور الفخمة . فالأثم في جميع البلاد تعيش في الاكواخ واذا لم
يضيء الدستور هذه الاكواخ واذا لم تصل السياسة الرشيدة اليها
وينطبع أثرها على أحوال سكانها وشعورهم فثقوا بانكم لم تتعلموا
بعد واجبات الحكومة

لقد حكى لنا أقدم المؤرخين ان الاسكيثيين كانوا في زمنه
أكثر الشعوب ميلا الى الحروب وانهم قد رفعوا صولجانا على
منصة رمزاً «مارس» اله الحرب ولم يشيدوا لأحد من الآلهة مناسك
الا لهذا الاله . والآن أراني اتساءل عما اذا كنا نحن قد تقدمنا على
هؤلاء الاسكيثيين . اذ ماذا ننفق الآن على البر والتربية والاداب
والدين والعدل والحكومة المدنية وما هو هذا الذي ننفقه في جانب
نفقاتنا الحربية التي نقدمها ضحية على منسك مارس ؟
منذ ليلتين خطبت طائفة كبيرة من المستمعين في هذه القاعة .

وكانت هذه الطائفة مؤلفة الى حد عظيم من ابناء وطنكم الذين ليس لهم حقوق سياسية لا تبدو أنوار الفجر حتى يشرعوا في الانكباب على أعمالهم لا يتحولون عنها حتى المساء . ليس لهم من الاسباب والوسائل ما يمينهم على تفهم هذه المسائل المهمة . اما الآن فقد وفقت الى اسماع طائفة اخرى . فانكم تمثلون تلك الطبقة التي امتازت بتربية أوفى وحصلت على قدر أكبر من الذكاء في فهم بعض المسائل وفي ايديهم النفوذ والسلطة . . . ان في مقدوركم تكوين الاراء وایجاد السلطة السياسية ولن يخطر ببالكم فكر حسن عن هذا الموضوع تفضون به الى جيرانكم . ولن تحدث بينكم وبين من تجتمعون بهم مناقشة تدلون فيها برأيكم حتى تؤثروا على سير حكومتكم اثرأ سريعاً محسوساً

وهل تسمحون لي بان أطلب اليكم ان تعتقدوا كما أعتقد أنا اعتقاداً راسخاً ان التوانين الادبية لم تسن للافراد بل هي ايضاً قد كتبت للامم مهما كبر شأنها ، مثل هذه الأمة التي نحن أفرادها . واذا سخرت الامم بهذه القوانين الادبية ورفضت طاعة ا ف هناك العقاب الذي لا مفر منه . وقد لا يقع بها العقاب على الفور . بل قد لا يقع في حياتنا ولكن ثقوا بان ذلك الشاعر الايطالي قد قال حقاً ونطق عن وحي نبوة عند ما قال : « سيف الله لا يتعجل ولكنه لا يتاخر »

خطبة لبوكر واشنطون

كال بوكر واشنطون (١٨٥٨ — ١٩١٥) زنجياً ولد في حجر البودية في الولايات المتحدة الاميركية . فلما ألغى الرق وجد نفسه صبيأ معدماً .

فالتحق بأحدى الكليات يخدم فيها ويتعلم . ثم ترك الكلية مشيعاً بصداقة جميع الذين عرفوه . وتعين ناظراً لأحدى مدارس الزوج وكانت مكتباً صغيراً ليس به سوى ثلاثين تلميذاً . فأخذ في ادارة المدرسة بهمة ومثابرة مدة عشرين عاماً يعلم فيها شباب الزوج ويمدّهم ويشقّهم حتى صار عدد تلاميذه ١١٠٠ تلميذ وصارت قيمة مآبني مدرسته وأموالها أكثر من مائة الف جنيه . قال عنه أحد الاميريكيين البيض : « لقد عاش بيننا ردحاً طويلاً من الزمن نيل اميركي ذو بشرة سوداء ولد عبداً وضيعاً فرفع نفسه بقوة الخلق العظيم حتى صار وطنياً مكرماً يعجب به كل رجل ذي أريحية في كل مكان »

وكان واشنطون خطيباً مطبوعاً يخطب كما يتكلم فلم يكن يزين الفاظه بعبارات البديع أو يلجأ الى الحلاية لان دعوته لم تكن ترمي الى الاغراء أو الاغواء فان غايته كانت الحق واقناع سامعيه به . وقد اتى الخطبة التالية في أحد المعارض في سنة ١٨٩٥ . قال :

ان ثلث السكان في جنوب الولايات المتحدة من الزوج . فليس ثم مشروع يقصد به اصلاح الاحوال المادية أو الادبية او المدنية لهؤلاء السكان يمكن واضعيه ان يهملوا فيه شان شعبنا الذي ننتمي اليه . واني ايها الرئيس والمديرون انما أنقل اليكم عواطف سواد الشعب الزنجي عندما أقول انكم عنيتم بتمثيل رجولة الزوج تمثيلاً سخياً في هذا المعرض الفخيم في جميع ادوار تقدمه . وهذا العمل سيزيد الصداقة التي تربط شعبي الولايات المتحدة متانة أكثر من اي عمل آخر منذ تحريرنا

وليس هذا كل الفوائد التي سنجنحها من هذا المعرض . فان فيه فرصة قد اتيحت لنا لكي نفتتح بيننا عصرأ جديداً للتقدم الصناعي . لقد بدأنا حياتنا في عهدنا الجديد ونحن منمورون بالجهل والغرارة لم نكسب علماً ولا تجربة . فلم يكن غريباً أن نبدأ من القمة لا من القاعدة . فصرنا نطمع في الحصول على مقعد في البرلمان أو في

مجلس الولاية التي نعيش في كنفها ونؤثر هذا على شراء العقار أو
على تحصيل العنود الصناعية . فكانت السياسة والخطابة تفويها
فتنزع اليها ونهمل الزراعة أو صنع الالبان

لقد حدث مرة ان احدى السفن الضالة في عرض البحار
لمحت سفينة أخرى موالية قد ارتفعت لها على نبيج الامواج .
فارسلت اليها اشارة عن صاريتها تقول : « الماء . الماء . نحن نهلك
من العطش » فجاءها الرد من السفينة الاخرى : « القوا دلوكم
حيث أنتم » فاعادت السفينة المنكوبة اشارتها : « الماء . الماء . نحن
نهلك من العطش » فجاءها الرد ثانياً : « القوا دلوكم حيث أنتم »
وتكررت الاستغاثة مرة ثالثة ورابعة فكان الرد لا يتغير . وأخيراً
رأى ربان السفينة المنكوبة أن يستمع لاشارة السفينة الاخرى .
فالتى دلوه ورفعها اليه واذا بالماء عذب رواء واذا بالسفينة تمخر عباب
نهر الأمازون عند مصبه . فالى اولئك الافراد الذين تجمني واياهم
الوحدة القومية والذين يطمحون الى ترقية احوالهم في بلاد
أجنبية والذين يبغسون قيمة تحسين العلاقات الودية بينهم
وبين جيرانهم من البيض اقول : « القوا دلوكم حيث أنتم » القوه
وصادقوا جميع الناس الذين تعيشون بينهم كائنة من كانت الشعوب
التي ينتمون اليها

أقول القوا دلوكم في الزراعة والصناعة والتجارة والخدمة المنزلية
وسائر الصناعات . وبهذه المناسبة يجب ان نتذكروا انه مهما
كانت خطايا أهل الجنوب وذنوبهم نحو الزوج ففي بلاد الجنوب
وحدها يمكن للزنجي أن يجد الفرصة السانحة لكي يندمج في العالم
التجاري . وهذا المعرض لسان ناطق بهذه الفرصة . وان اعظم

لم نتعرض له من الاخطار هو اننا في وثوبنا من العبودية الى الحرية قد ننسى انه يجب على سواد الشعب الزنجي أن يعيش بكديده . أو ننسى ان رقينا سيكون بنسبة اكبارنا وتمجيدنا للكد والكدح وبنسبة ما نصرف من مهارتنا وأذهاننا على الصناعات الوضيعة . وان رقينا سيتوقف على التميز بين الحقائق والالوهام في هذه الحياة وبين ما هو نافع مقيم وبين ما هو زينة زائلة . ولن يرقى شعب حتى يتعلم ويعرف ان افلاح الارض فيه من الشرف والجاه ما في كتابة الشعر . ويجب ان نبتدىء من القرار لا من القمة . ثم لا ينبغي أن تلهينا ظلاماتنا عن انتهاز الفرص

اما اولئك البيض الذين يؤثرون قدوم الاجانب ذوي الألسنة والعادات الغريبة لكي يشتغلوا معهم في اسعاد بلادهم على الزوج فاني أقول لهم كما قلت لابناء قومي : « ألقوا دلوكم حيث انتم » التوه بين الثمانية الملايين من الزوج الذين يعيشون بينكم والذين لا تجهلون أخلافهم وعوائدهم . الذين قد بلوتم أمانتهم وحرمت وقت عبوديتهم عندما كانت خيانة أحدهم تعني خراب البيت بأجمعه . الفوا دلوكم بين هؤلاء الناس الذين حرثوا أرضكم واحتطبوا لكم من غاباتكم وبنوا مدنكم ومدوا لكم السكك الحديدية وأخرجوا لكم الكنوز من بطن الارض وكانوا سبب رقي بلادكم - الذين فعلوا كل ذلك دون أن يلجأوا الى اضراب او اثارة حرب بين العمال واصحاب الاعمال . انكم ان فعلتم ذلك وعاونتم افراد قومي وشجعتهم كما تفعلون الآن في هذا المعرض وتناولتم رؤوسهم وأيديهم وقلوبهم بالترية والنيليم وجدتم منهم من يشتري أرضكم

الفائضة فيمتلئ بور أرضكم بالازهار والانوار كما تمتلئ مصانعكم بالعمال

وأنتم في عملكم هذا ستنأكدون في المستقبل كما كنتم في الماضي من وجودكم ووجود اسراتكم محوطين بأودع الناس واصبرهم وأكثرهم أمانة واقلهم استياء في هذا العالم . وكما قد برهنا لكم على ولائنا لكم في الماضي نربي اولادكم ونرعى امهاتكم وآباءكم وهم في فراش المرض وتنبههم الى قبورهم أحياناً وعيوننا تفيض بالدموع فكذلك في المستقبل سنتمف الى جانبكم وسترون ما برأ لا يجارينا فيه اجنبي ترتخص فيه الحياة في سبيل الدفاع عنكم وتشتبك حياتنا بحياتكم في الصناعة والتجارة والدين بحيث تتجد مصالح الشعبين . وفي متمدورنا أن نفصل في الأشياء الاجتماعية كما تنفصل اصابع اليد ولكننا نصير كاليد كتلة واحدة متحدين في جميع الشؤون الاساسية الخاصة بالتقدم المتبادل

خطبة لروزفلت

كان روزفلت (١٨٥٨ — ١٩١٩) رئيساً للولايات المتحدة الاميركية « وكان يتسم بالهمة التي لا تنبي . فإدام هناك شيء جدير بأن يعمل فهو عنده ينهض به دون اكتراث للموائق . . . وكان يضيف الى نشاطه الجسمي والعقلي نشاطاً أدياً لا يمكن لرجولة الرجل أن تتم بدونه . وكان من سمات أخلاقه شرف المقصد واحساس رفيع بالواجبات العمومية . . . ان روح الحضارة الاوربية الحقيقي كان متمثلاً تمثيلاً كاملاً في تيودور روزفلت »
وقد الى الخطاب التالي في سنة ١٨٩٩ في مدينة شيكاغو . قال :

أيها السادة : اني في مخاطبتي اياكم وانتم رجال أكبر مدينة في الغرب ورجال الولاية التي خرج منها لنكولن وجرات وأنتم

بالذين تمثلون احسن تمثيل الصفات الاميركية في الخلق الاميركي
لا أريد ان احدثكم عن مذهب الدعة المخزية . بل سيكون
كلامي عن مذهب حياة الكفاح . حياة الكد والجهد . والعمل
والنزاع . أريد أن أعظمكم بارفع اشكال النجاح الذي لا يناله رجل
الدعة ولكن يحصل عليه ذلك الرجل الذي لا يحجم عن المخاطر
او المشقات او الكد المضني وينال في الختام من كل هذه الاشياء
نصراً عظيماً

ان حياة الدعة حياة الهدوء التي تنشأ من عدم الطموح الى
تأدية الاعمال العظيمة او من عدم الندرة على الكفاح هي حياة
غير جديرة بامة او بفرد . اني أطلب من الامة الاميركية ما يطلبه
كل اميركي ذي كرامة من نفسه ومن أبنائه . فمن منكم برضى بان
يعلم أبنائه بانه يجب ان يكون للدعة والهدوء المحل الاول من
اعتبارهم وان يكونا الغاية التي يطمحون الى تحقيقها ؟

انكم يا اهل شيكاغو قد جعلتم بلدكم هذه عظيمة . وأنتم
يا اهل الينواس قد قمتم بنصيبكم في رفع اميركا الى مقام العظمة
لانكم لا تقولون بالدعة ولا تارسون مذهبها . انكم تشتغلون
بانفسكم وتطلبون من اولادكم أن يشتغلوا مثلكم . فاذا كنتم
ميسورين وكنتم تستحقون ثروتكم فانكم ستفرسون في نفوس
ابنائكم انهم وان كانت لهم أوقات فراغ فلا يجب ان يقضوها
في الكسل . لان أوقات الفراغ اذا أحسن استغلالها عادت
باكبر الفوائد . لان الغني الذي لا يضطر الى الكد لمعاشه يجب
عليه ان يقضي وقت فراغه في الابحاث العلمية او الادبية او الفنية
او في الاستكشاف الجغرافي او التاريخي . فان هذه كلها اعمال

تحتاج اليها هذه البلاد ونجاحها جدير بأن يرفع شأن امتنا
اننا لا نعجب برجل الدعة الذي يحفل من العمل . ولكننا
نعجب بالرجل تتجسم فيه الجهود الظافرة . ذلك الرجل الذي
لا يؤدي جأراً والذي يبادر الى معونة الصديق ولكنه مع ذلك
حاصل على صفات الرجولة اللازمة في الانتصار في معارك الحياة
القاسية . وليس من ينكر مشقة الفشل ولكن شر من الفشل ألا
يحاول الانسان النجاح . وفي هذه الحياة الراهنة لا نحصل على
شيء ما الا بالجهود . ومن ليس في حاجة الى جهد في وقته الراهن
كان في حاجة اليه في الماضي وقد اخزن منه حاجته للمستقبل .
فانما يتحرر الانسان من قيد الاضطرار الى العمل لانه هو أو آبؤه
قد عملوا في الماضي ونجحوا . فاذا كانت هذه الحرية قد احسن
استعمالها واذا كان صاحبها لا يزال يشتغل شغلاً من طراز آخر
كأن يكون كاتباً أو قائداً أو يشتغل بالسياسة او بالاستكشاف
فانه بعمله هذا يثبت جدارته لثروته . أما اذا كان يعتبر خلواً من
هموم الكدح للمعاش فرصة للتمتع بضروب اللذات فانه عندئذ
يصير عالة على الناس ثم هو مع ذلك يجعل نفسه عاجزاً عن المداخلة
والجهاد مع اخوانه اذا دارت الدوائر وتطلبت منه الاحوال ذلك .
فان حياة الدعة ليست مما يرغب فيه لانها تعجز الذين يمارسونها
عن العمل الجدي في هذا العالم

وكما يسري هذا على الفرد فكذلك يسري على الامة . وانه
لمن الا كاذيب السافاة ان يقال ان الامة التي لا تاريخ لها تكون
سعيدة . فاسعد منها مرتين بل ثلاثا تلك الامة التي تباهي بتاريخ
مجيد . والاقدام على جلائل الاعمال ونيل الفوز المجيد وان تحلل

ذلك حبوط المسعى خير من أن يعد الانسان في صف اولئك الضماف الذين لا يتمتعون كثيراً ولا يتألمون كثيراً لانهم يعيشون في غبشة الغسق فلا يعرفون ظفراً او هزيمة . ولو ان الاميركيين الذين كانوا يؤمنون بالاتحاد في سنة ١٨٦١ كانوا يعتقدون ان السلام هو غاية الاماني وان الحرب والنزاع شر الاشياء ولو انهم عملوا بما آمنوا لكننا قد وفرنا دماء الالوف ومئات الالوف من النقود . ثم كنا الى جانب هذه الدماء وهذه النقود نوفر على النساء أحزانهن وخراب بيوتهن وكنا وفرنا على بلادنا تلك الايام السوداء عندما كانت جيوشنا تسير نحو المعركة فكانها تسير نحو الهزيمة فتملأ قلوبنا خزيًا وأسفا . كان في مقدورنا ان نتجنب جميع هذه الآلام بان نحجم عن القتال والكفاح . ولكننا لو كنا قد فعلنا ذلك اذن لصرنا ضعافاً انكاساً غير جديرين بالوقوف في مصاف الدول العظمى . فلنشكر الله انه مزج دماء آبائنا بالحديد . اولئك الرجال الذين نصرّوا لنكون وآمّنوا بحكمتهم وساروا الى القتال تحت راية جرانت . فعلينا نحن أبناء الرجال الذين ارتفعوا الى مستوى تلك الايام العظيمة . نحن ابنا، اولئك الابطال الذين ساروا بالحرب الاهلية الى الفوز النهائي . علينا ان نشكر الله لان نصائح الصلح قد ردت وان الآلام والخسائر والاحزان قد قوبلت دون خور . لان ختام هذه الحرب قضى على عبودية الزوج وعاد الاتحاد وظهرت الجمهورية الاميركية العظيمة ملكة متوجة بين الامم

وليس علينا نحن ابنا هذا الجيل ان نواجه مثل هذه المهمة التي وقعت على كراهل آبائنا ولكن لنا نحن ايضاً مهماتنا وويل

لنا اذا لم نؤدها . فلسنا نستطيع - حتى لو أردنا - ان نعيش كما يعيش الصينيون تبلى أجسادنا وعقولنا في دعة لا نوثم لا يحصل خارج حدود بلادنا نتخبط في المبادئ التجارية لا نفنى بالحياة العليا حياة الاماني والسكد والاختار نقصر جهدنا على حاجات يومنا الجسمية . حتى نرى في احد الايام كما رأت الصين ان الامة التي تعيش في هذا العالم عيشة الدعة والسلام والبعد عن الطرق الحربية تنهزم امام الامم التي لم تفقد صفات الاقتحام والرجولة . فاذا نوبنا نية صادقة أن نكون امة عظيمة فعلينا ان نمثل دوراً عظيماً في هذا العالم . وليس من المستطاع ان نتجنب مواجهة المسائل العظمى . وكل ما علينا ان نقر على نوع هذه المواجهة ان حسناً وان سيئاً

خطبة للرئيس ويلسون

كل من يذكر الحرب الكبرى يذكر أيضاً ويلسون (١٨٥٦ —) أحد أساتذة جامعة برنستون ثم رئيس الولايات المتحدة . وقد قال أحد فلاسفة الآغريق ان الامم لن تسعد حتى تصير قادتها فلاسفة وفلاسفتها قادة . فلما صار ويلسون الى مركز الرئاسة تطالع الناس ليروا ما سيجنونه من سياسة الفياسوف . وحدث في عهده أكبر أزمة كابدها الضمير البشري في تاريخ الانسان . وهي الحرب الكبرى . وكانت في اياها حرباً مادية تستحثها الاطماع السافلة في امتلاك المال والمغار . فلم تكن تختلف عن حروب المتوحشين الافريقيين الا من حيث السكينة لا من حيث النوع . ولكن الامم المتعاربة أرادت أن تجند العواطف وتعي القلوب . فاخترت الفاظاً لم تكن مألوفاً في الحروب السابقة مثل الحق والعدل وما اليهما . فاغتر بها الفياسوف ويلسون وزج بأمتة في هذه الحرب ونال النصر ثم جاء السلم ففألتله الهزيمة . فقد حاطه ساسة أودبا وأخذوه بأساليبهم حتى خرج من قاعة المفاوضات في النهاية ولم يرخ لمبادئه نصيراً

ولكن يكفي ويلسون فخراً أن يتهم عليه مسيو كليمانصو فيقول فيه « أنه يظن نفسه أنه المسيح »

وخير للناس أن يعتقدوا بالباديء العليا ويعتقدوا أنهم يؤمنون بها وأن تحقيقها مستطاع مثل ما فعل ويلسون من أن يؤمنوا بالحقائق وينزلوا عند حد الاطماع البشرية كما فعل مسيو كليمانصو

وفي ما يلي يرى القاريء مثالا من خطب ويلسون وموضوعه : « الحرية الجديدة » . قال :

مهما أكثرنا من التفكير في حادثة استكشاف اميركا فان هذه الحادثة لا تزال تثير خيالنا وتهتاجنا . فقد سلفت قرون كان وجه اوربا يتجه فيها نحو الشرق . فكانت طرق التجارة ودوافع النشاط تسير نحو الشرق . وكان المحيط الاطلسي أشبه شيء بالباب الخلفي للمـنزل . ثم فوجيء الاوربيون باستيلاء الاراك على القسطنطينية ووقوهم سداً حائلاً بين اوربا والشرق . فكان على اوربا اما أن تتجه نحو وجهة أخرى واما أن تقف مشلولة الحركة لا تجد منفذاً لنشاطها . وفي النهاية أقدم الناس على هذا البحر الغربي المجبول مجازين بارواحهم وعلم سكان الارض عندئذ ان أرضهم تبلغ ضعف ما كانوا يعتقدون . ولم يجد كولبوس كما كان ينتظر حضارة الصين بل وجد قارة غير عامرة . ففي هذا الجزء من العالم على هذا النصف الآخر من الكرة الارضية اتيح للانسان في تاريخه الحديث ان يؤسس حضارة جديدة لها ميزة التجربة الجديدة

فمثل هذه الفرصة الفريدة جدية بأن تحرك العواطف عند جميع من يتبصرون في غرابتها وفي قيمتها . فقد يستطيع الانسان ان يؤلف آلافاً من التواريخ الخيالية لهذه الارض ولكن لا يبلغ

خياله الى اختراع قصة يكون فيها نصف العالم مخبوءاً حتى ينضج الزمان ويتهيأ للشروع في ايجاد حضارة جديدة . فقد كان طمع ربان سفينة في الاهتداء الى طريق بحري سبباً في امتياز أدبي للانسانية . فقد قدر للانسان ان يؤسس هيئة اجتماعية جديدة في هذه الارض الميمونة التي لم يتقرب منها انسان كما كان يقول السباح الا وينتعش بهواء الغابات المنهبة بالازهار ويطرب لخير المياه الصافية التي تنساب بين اشجارها

فهذا النصف الآخر من الكرة الارضية كان راقداً ينتظر مس الحياة - حياة من العالم النديم حتماً ولكنها قد طهرت من الادران وعولجت من الاعياء لكي تليق بطهارة العروس العذراء

فكل هذا يستطير الخيال كانه رؤيا عجيبة بل تحفة جميلة لا يسخو الزمان بمثلها مرة اخرى

والآن تساءل . ماذا كان في ما كتبه اولئك الناس الذين أسسوا أميركا مما يروج مصالح اميركا بالذات ويعود عليها بالفائدة وحدها دون غيرها ؟ هل تجدون للآثرة مكانا في هذه الكتابات ؟ كلا . فانهم انما كانوا يكتبون خدمة للمبادئ الانسانية ولتحرير الانسان . فاقاموا مقاييسهم الادبية هنا في اميركا على دعائم الأمل شعلته تستضيء بها أمم العالم وتشجع منها . واخذ الناس يأتون الى شواطئ هذه القارة وهم يحدوهم رجاء لم يكونوا يعرفونه من قبل وثقة لم يكونوا يجروأون على الشعور بها من قبل ثم وجدوا هنا عدة أجيال مكاناً قد انتشرت فيه الطمأنينة والامن وعرضت فيه لهم الفرص وصاروا فيه مستوين . وعسى الله - في هذه الاحوال المرتبة التي تحوطنا الآن - يلهمنا ان نرجع الى تلك المقاييس

ونقوم بمثل تلك الاعمال المجيدة التي يزدان بها ذلك العصر السعيد
لقد مرت بذهني مراراً عديدة صورة لتلك الشروط التي
تتألف منها الحرية . ولييانها لكم افرض أني اريد ان ابني آلة
قوية واني في اقامة أجزائها قد جمعتها من غير مهارة او لباقة بحيث
اذا أردت ادارتها وتحرك احد الاجزاء وقف في سبيل حركته
جزء آخر فينتهي الحال بوقوف الآلة . فحرية هذه الاجزاء تنحصر
في اجتماعها على أحسن شكل وتآلفها على أحسن وجه . فاذا
أردت من كابس الآلة البخارية أن يسير باكل حرية فليس عليك
سوى أن تضعه بحيث يأتلف بسائر أجزاء الآلة فلا يتعارض واياها
عند الادارة . فليست حرية في أن يكون منفرداً في عزلة على
حدة بل في وضعه وضعاً ملائماً موافقاً بيد ماهرة في جسم الآلة .
فالحرية الانسانية هي كذلك تنحصر في الملاءمة والتوفيق بين المصالح
الانسانية والنشاط الانساني

فهل نحن في هذا المعنى الجديد محتفظون بالحرية في هذه البلاد
التي هي رجا هذا العالم ؟ فالجواب على ذلك يقيناً هو اننا قد سرنا
شوطاً بعيداً نحو الخيبة التي تجلب الحسرة والاسى للنفس . ونحن
الآن في خطر الوقوع في الخيبة التامة الا اذا أمضينا نيتنا نحو الغاء
المظالم الدقيقة الخفية ووضعنا لكل منها العقاب الذي تستحقه
واياكم وخدع أنفسكم عن مبلغ نفوذ المصالح الكبرى التي تتحكم
في رقبنا ومدى قوتها . فان لهذه المصالح من القوة والنفوذ ما يجعلنا
نرتاب في ما اذا كانت حكومة الولايات المتحدة تستطيع ان تتحكم
فيها . فاذا انتم تهاونتم واكتسبت هذه المصالح صفة دائمة لنهوذها

لصار عندئذ اصلاح الحال من المحال
اني أومن بالحرية الانسانية كما أومن بنبیذ الحياة . وليس في
رعاية أصحاب المصانع للامة تلك الرعاية المؤسفة وفي تنازلهم للنظر
في مصالحها ما يسير بالانسان نحو الخلاص . اذ ليس للاوصياء
مكان في بلاد الاحرار لأن تلك السعادة التي تأتي عن طريق القوام
لا يرجى لها دوام او بقاء

ان الاحتكار الذي يرمي اليه أصحاب المصانع يؤول الى قتل
جهود الافراد . واذا ألح المحتكرون في الاحتفاظ بقوتهم فانهم
سيقبضون بأيديهم على دفة الحكومة . ولست آمل أن يضبط
هؤلاء الناس انفسهم لأنه اذا كان في البلاد اقوياء قادرين على أن
يتملكوا زمام الحكومة فهم هؤلاء الاقوياء . وعلينا نحن أن نستقر
على قرار ونعقد نيتنا على وضع أيدينا على الحكومة . وهذا لا يكون
الا اذ كنا رجالا بل رجالا عظاماً

ويجب علينا أن نزرع الشعور اللطيف والرحمة في قلوب الناس
وذلك بان نجرد السياسة والاعمال والصناعة من جمود الاحساس
والقسوة . فيجب أن تكون السياسة من الامور التي يستطيع رجل
شريف أن يمارسها راضياً لأنه يعرف ان رأيه له من المكانة في
القانون مثل ما لرأي جاره وانه ليس لرئيس المصنع او للمصالح
الصناعية المختلفة تأثير عليه

خطبة للويد جورج

ولد لويد جورج في سنة ١٨٦١ واشتغل وكيلا للدعوى في ويلز وفي سنة ١٨٩٠ دخل البرلمان عضواً في حزب الاحرار وفي سنة ١٩٠٥ صار وزيراً للتجارة واحتفظ بمركز الوزارة الى ان جاءت سنة ١٩١٦ وكانت الحرب الكبرى في عنفوانها . فصار رئيساً للوزارة فرفع مستوى الجهود الحربية في انجلترا وبقى في الرئاسة الى أن عقد الصلح على يده . ولويد جورج هو بلا مراء « رجل الجماهير » يسائرهم ولا يقودهم الا عند ما لا يجد خطراً في القيادة . بفهمهم وقد يفهمهم . ولكنه اذا عاد الى نفسه وتبين خطأ رجوعه . وقد يكون رجوعه بعد أن تفوته الفرصة . ولكن الندم نصف التوبة . فقد أغوى الجمهور الانجليزي بضرورة محاكمة امبراطور المانيا وكسب الانتخاب بهذه الصيحة الحبيثة . ثم ندم فلم يذكرها ثانياً . وعقد صلحاً مع المانيا يقضي بفنائها . ثم ندم . فالف كتاباً يدعو فيه الى حماية المانيا من فرنسا . والخطبة التالية القاها بمناسبة دعوة صلح عرضتها المانيا حوالي سنة ١٩١٧ لم ترق الحكومة الانجليزية . قال فيها :

أقف اليوم في مجلس العموم وانا مثقل باروع تبعة يستطيع حملها أي انسان باعتباري الوزير الاول للتاج وفي وسط أكبر حرب خاضتها هذه البلاد وهي حرب يتوقف ايضاً عليها مصيرها . وقد تاكدت تبعة الحكومة وزادتها فداحة تلك التصريحات التي القاها الوزير الالماني وها انا ذا أتناول امامكم هذا الموضوع الآن . وقد جاءتنا على اثر هذه التصريحات التي القيت في الريحشتاج مذكرة من سفير الولايات المتحدة تتضمن هذه التصريحات دون أي تعليق من حكومته . . .

واقدر سرني غاية السرور ان فرنسا وروسيا قد أجابتا على هذه التصريحات الجواب الاول . وهما بلا شك لهما الحق في ان يجيبا

الجواب الاول . فان العدو لا يزال في ارضها وضحاياها أكبر الضحايا . وقد نشر هذا الجواب في جميع الصحف وأنا اقف هنا بالنيابة عن الحكومة لكي أوازر هاتين الحكومتين في جوابهما مؤازرة صريحة . وهنا يجب أن أقول ان الرجل او الرجال الذين يتحملون تبعه تطويل مدة حرب هائلة كهذه الحرب بدون سبب وجيه انما يرتكبون جريمة لا تغسلها عن انفسهم بحار من الدموع . ثم ان رجلا او رجلا يكفون عن الحرب لما نال انفسهم من السأم والجهد قبل ان نحقق الاغراض العظمى التي دخلنا الحرب من اجلها انما يرتكبون انما من الجبانة والعار لا يعدله أي اثم آخر . وهنا يليق بي ان اقتبس من ابراهيم لنكون كلمة قاهل وهو في ظروف مثل هذه التي نعانيها الآن : « لقد دخلنا ونحن نتوخى تحقيق غرض شريف وستنتهي الحرب عند ما يتحقق هذا الغرض . وادعو الله ألا تنتهي الحرب الا في ذلك الوقت » فهل نحن نحقق هذا الغرض بقبولنا دعوة وزير المانيا ؟ هذا هو السؤال الوحيد الذي يجب ان نلقيه على افسنا

فشروط الصلح التي قبلها هي كما قال مستر بونارلو : « رد المسلوب والتعويض والضمان بالا يحدث ما حدث من المانيا » ولكن لكي لا تتسرب الاغلاط - ومن المهم ألا تتسرب الاغلاط في مسألة موت ملايين وحياتهم - يجب أن أقول ان ما نطلبه هو رد المسلوب باجمعه . والتعويض التام . والضمانات الناجمة . فهل نطق وزير المانيا بكلمة تدل على انه يقبل هذه الشروط ؟ فهل المع الماعاً الى رد المسلوب ؟ وهل اقترح شيئاً بشأن التعويضات ؟ وهل قال شيئاً يدل على ضمان المستقبل من أن

تحدث فيه مثل هذه الحرب الفظيعة تفاجيء بها المانيا الأمم عند ما تجدان الفرصة سانحة ؟ كلا . فان مادة خطبته وأسلوبها ينكران القواعد التي لا يمكن لصلاح ما أن يقام على غيرها . فهو لا يعرف للآن ولا يشعر ان المانيا قد جنت على حقوق الأمم الحرة . فاصغوا الى قوله هذا : « ان دولتي الوسط لم تحيدا عن الاعتقاد لحظة واحدة بأن احترام حقوق الامم الحرة لا يتناقض ومصالحهما الشرعية وحقوقيهما » . فمتى عرفنا احترام حقوق الأمم الاخرى عند ما دخلت جيوشهما في بلجيكا ؟ لقد قيل ان ذلك كان دفاعا عن النفس . فلعل الالمان قد رأوا انفسهم مهددين بخطر غزو الجيوش البلجيكية الجارة لبلادهم فغزواهم بلجيكا وأحرقوا بلدانها وقراها وذبحوا الآلاف من سكانها كباراً وصغاراً واسترقوا بعد ذلك من بقي من الاحياء . فما هو الضمان لشي لا تعاد مثل هذه الافاعيل حتى اذا تعاقدنا في صلح علمنا ان هذا الصلح قد ختم روح الحرب البروسية . وهل نحن نستطيع اذا لم نحاسبهم على ما جنوه من الفظائع في البر والبحر أن نصافح اليد التي ارتكبت هذه الاتام دون أن يدفع التعويض عنها ؟ ان علينا ان نطالب بالتعويض وقد شرعنا في ذلك . انا تكلفنا كثيراً في هذه الحرب فنحن مضطرون الى الحصول على التعويض حتى لا نترك لاولادنا هذا الميراث السيئ

واذا كنت في هذه الحرب لم أكرث للدعوة الحزبية فذلك لأنني قد تحققت منذ اللحظة التي هدرت فيها المدافع وصبت الموت على بلاد صغيرة وديعة ان الالمان قد تمجدوا الحضارة وقد أوقفونا حيال مسألة تعدو الاعتبارات الحزبية . وهي مسألة يتوقف على

تسويتها حظ الناس في المستقبل عند ما تتساقط الاجزاب الراهنة
كلاوراق الجافة الميتة . فهذه اذن هي المسالة التي يجب أن تبقى
مائلة امام الامة وذلك لكي لا تعترى الشكوك عقائدنا ولا التردد
قضيتنا . وفي كل حرب طويلة يجيء وقت ينسى فيه الناس
وهم في وغرة القتال وحدة الشهوات ذلك القصد السامي الذي
ادخلوا الحرب من اجله . فان هذه الحرب نزاع لاحقاق الحقوق
الأممية والشرف وحسن النية بين الدول . وهذه هي الطريق التي
تؤدنا نحو السلام على الارض والارادة الحسنى بين الناس . فقد
هدمت الاسوار التي كد في بنائها اجيال من الناس لكي يصدوا
بها تيار الهمجية ولولم تدخل بريطانيا بقوتها الى هذه الثغرة التي
انفتحت في اوربا لغمر هذه القارة فيضان من التوحش والجهروت
المطلق

ان انتصار بروسيا يدع الانسان في حماة من الفظائع ويقضي
على روح الانصاف بين الأمم وعلى نمو هذا الشعور الذي يقضي
بحماية الضعيف من القوي كما يقضي ايضاً على هذا الشعور الاقوى
بان للعدالة شيئاً ينصرها اسمى من الشره وأن انتهاك حرمة المعاملة
الحسنة بين الأمم الكبيرة او الصغيرة يجلب على المنتهك العقاب
ال عاجل الصارم . وهذا هو السبب في انني منذ بداية هذه الحرب
لم اضع نصب عيني سوى قصد سياسي واحد قد جاهدت في سبيله
وهو تخليص النوع البشري من اعظم نكبة نزلت به توشك ان
تقضي على سعاده

فهرس الكتاب

صفحة	الجزء الاول	صفحة
٣٤ خطبة المأمون	عيون الخطب العربية	
٣٦ » نحر الدين بن لقمان		
٣٠ » ابن الزكي		
٤٦ » لاديب اسحق	٣ نبذة في تاريخ الخطابة العربية	
٥٦ » لمصطفى كامل	٦ خطبة لقس بن ساعدة	
٦٥ خطب اسمع زغلول باشا	٦ » للنبي	
	٧ » لابي بكر	
الجزء الثاني	٨ » لعمر بن الخطاب	
عيون الخطب الافرنجية	٩ خطب لعلي بن ابي طالب	
٧١ خطبة برقليس	١٣ » لمعاوية بن ابي سفيان	
٧٤ » لديموستينيس	١٦ خطبة لزياد بن ابيه	
٧٧ » لشيشرون	١٨ » ليزيد بن معاوية	
٧٩ » للقديس برنار	١٩ » لخالد بن الوليد	
٨١ » لبوسويه	١٩ » لطارق بن زياد	
٨٤ » لفنيلون	٢١ » لعمر بن عبد العزيز	
٨٦ » لكر ومويل	٢٢ خطبة لقطر بن الفجاءة	
٨٩ » لمارات	٢٥ خطب للحجاج	
٩١ » للامارتين	٢٨ » لابي حمزة	
٩٢ » لفكتور هيجو	٣١ خطبة المنصور الخليفة العباسي	
٩٤ » لكوشوت	٣١ » الخليفة المهدي	
٩٨ » لغامبتا	٣٣ » هارون الرشيد	

صفحة		صفحة	
٩٨ »	لغامبتا	١٢٢ »	للورد رسل
١٠٢ »	لانسكوان	١٢٤ »	للورد بيكو نسفيلد
١٠٤ »	لكافور	١٢٧ »	لغلا دستون
١٠٨ »	لمازيني	١٣١ »	لبسمارك
١١٢ »	لبت	١٣٢ »	لجون برايت
١١٤ »	لوابر فورس	١٣٤ »	لبوكر واشنطون
١١٦ »	لانجر سول	١٣٨ »	لروزفيلت
١١٩ »	لماكولي	١٤٢ »	لارئيس ويلسن

